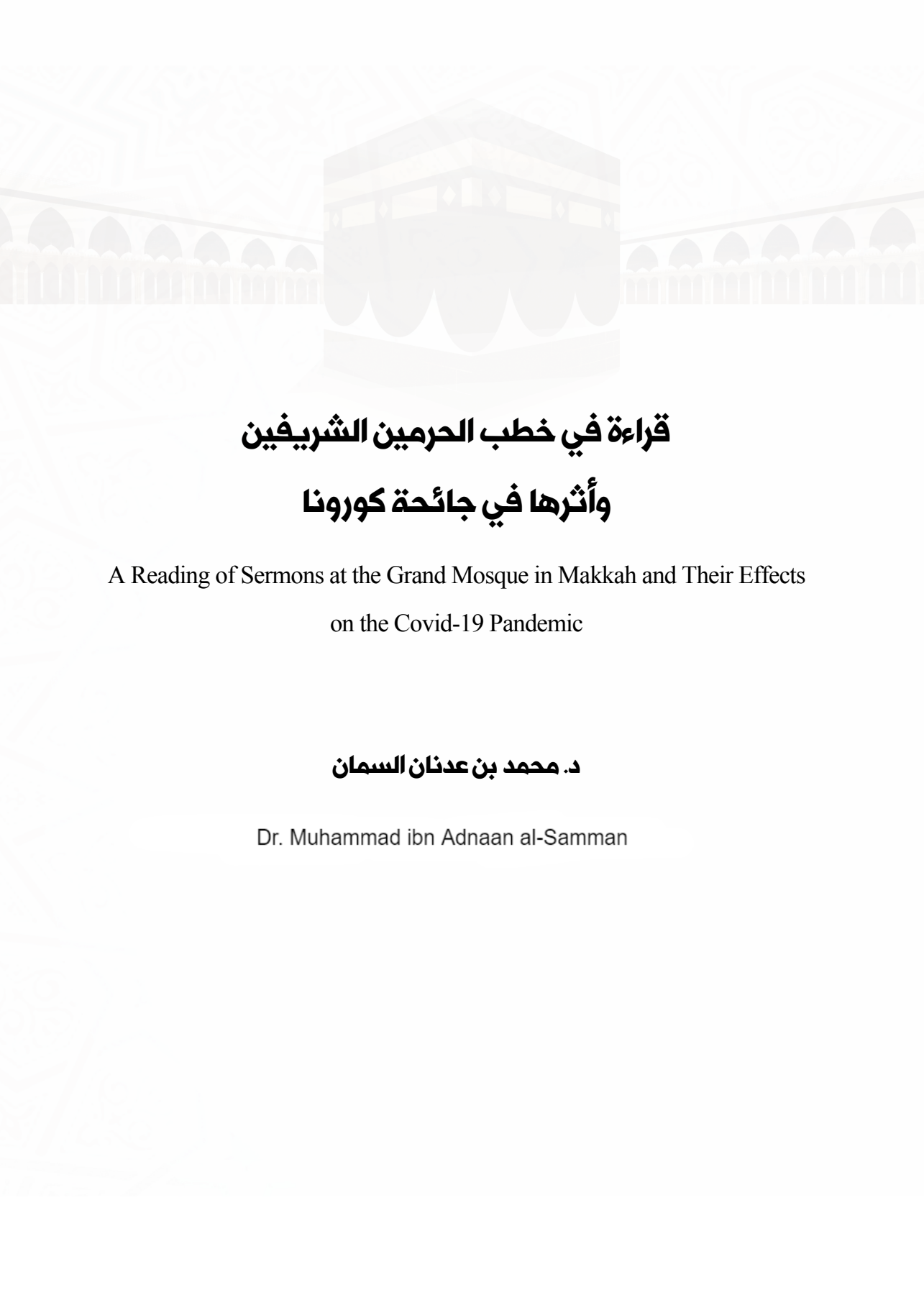




قراءة في خطب الحرمين الشريفين وأثرها في جائحة كورونا

A Reading of Sermons at the Grand Mosque in Makkah and Their Effects
on the Covid-19 Pandemic

د. محمد بن عدنان السمان

Dr. Muhammad ibn Adnaan al-Samman

ملخص البحث

هذا البحث تحت عنوان: قراءة في خطب الحرمين الشريفين وأثرها في جائحة كورونا، يتناول دراسة وفق المنهج الاستقرائي التحليلي لـ (٣٧) خطبة، أُلقيت من منبر الحرمين الشريفين، وتطرق للمنهج الشرعي الأمثل للتعامل مع جائحة كورونا. ولأن منبر الحرمين الشريفين منبر عالمي، يراه ويسمعه مَنْ في العالم من المسلمين وغيرهم؛ فلقد كانت خطب الحرمين الشريفين على مستوى الحدث، وربطت الأمة في مثل هذه الجائحة العالمية بأهم المهمات وأوجب الواجبات، وهو توحيد الله ﷻ، وأنه ﷻ المنفرد بالخلق والملك والتدبير، وما يتبعه من التوكل على الله، والالتجاء له، وحسن الظن به، والتحصن بدعائه وذكره، وبينت المنهج الشرعي في مثل هذه المواقف، وأكدت على الجهود المميزة لقيادة المملكة العربية السعودية في التعامل الأمثل، وتوجيهاتهم السديدة للجهات المعنية، التي خففت من انتشار الأمراض المترتبة على هذه الجائحة بعد توفيق الله، وضرورة الالتزام بالإجراءات الاحترازية والطرق الوقائية، وفي مقدمتها: أخذ التطعيمات اللازمة، وأبرزت ما كان من صور مشرفة من العمل الدؤوب، من الجهات والوزارات المعنية في التعامل مع الجائحة، مما كان له وسيكون بإذن الله الأثر الإيجابي في التعامل مع هذه الجائحة العالمية على كافة المستويات.

الكلمات المفتاحية:

خطب الحرمين-المملكة العربية السعودية-جائحة كورونا-المنهج الشرعي-مقدمات تأصيلية، الأمراض-الأوبئة

Research Summary

This research deals with the title: Reading in the speeches of the Two Holy Mosques and their impact on the Corona pandemic, a study according to the inductive analytical method of the number (37) words delivered from the platform of the Two Holy Mosques and an optimal address. Shariah approach to dealing with the Corona pandemic.

The researcher he is made an inductive reasoning those sermons and emphasized what the platform of the Two Holy Mosques is doing, that global platform that Muslims and others in the world see and hear, as the sermons of the Two Holy Mosques were at the level of the event.

In order to confirm these meanings, the researcher he is dealt with the characteristics of forbidden sermons during the pandemic, and some important rooted introductions to diseases and epidemics, and clarified the legal approach in dealing with diseases and epidemics.

The Al-Haramain platform had an important role in dealing with this global epidemic by linking people first with the most important tasks and duties, which is the unification of God Almighty and that His Majesty the King is the only one in creation, king and administration,

and the consequences of relying on God and resorting to him and good faith in him and immunization with his prayers and precautionary and preventive measures and foremost Taking the necessary vaccinations and showing the honorable pictures of the diligent work of those concerned. And the authorities and ministries in dealing with the epidemic, which had, God willing, and will have a positive impact in dealing with this global epidemic at all levels.

Keywords: Sermons of the Two Holy Mosques, the Kingdom of Saudi Arabia, the Corona pandemic, the Sharia curriculum, the rooted introductions, diseases, epidemics, prevention.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُفَرَّدَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فجائحة كورونا التي عمّت جميع بقاع الأرض جائحة أثرت كثيرًا على الناس في حياتهم ومعاشهم، وكان لقادة بلادنا حفظهم الله السبق والمبادرة، بقرارات احترازية وحاسمة تجاه مواطنيها في الداخل والخارج، حيث عملت على عدة مسارات من أجل حماية المواطنين بل والمقيمين أيضا من هذا الفيروس المستجد.

وامتدادا لهذا الدور الكبير، فإنه ممن كان لهم الدور الإيجابي البناء، في بيان المنهج الصحيح للتعامل مع هذه الجائحة، وما يتعلق بها من أحكام شرعية ومسائل مرعية، بكلمة صادقة، وحكمة معبرة، وعبارة مختصرة، وفق ما جاء في كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ؛ منبر الحرمين الشريفين، فمنبر الحرمين منبر عالمي يشاهده ويسمعه كل العالم، وتكمن أهمية البحث في التالي:

١. الدور الذي قام به منبر الحرمين الشريفين هو امتداد لما تقوم به دولتنا الرشيدة رعاها الله، في التعامل الأمثل مع الجوائح والأوبئة.
٢. التأكيد على الدور المميز لمنبر الحرمين الشريفين، في تبليغ المنهج الشرعي في التعامل مع أوقات الأزمات الناتجة عن الجوائح والأوبئة.

٣. التأكيد على شمولية خطب الحرمين لما ينفع الناس في أمرهم دينهم ودنياهم.

ومن هذا المنطلق، فقد قمت بالاطلاع على خطب الجمعة، والتي أُلقيت في المسجد الحرام والمسجد النبوي، منذ بدء انتشار الجائحة في العالم في أوائل شهر جمادى الثاني من عام ١٤٤١هـ، وحتى تاريخ آخر خطبة تم الاطلاع عليها عند إعداد هذا البحث، والتي ألقاها فضيلة الشيخ سعود الشريم في المسجد الحرام، بتاريخ ١٢/١/١٤٤٣هـ، وتخلل تلك الخطب الاستفادة من خطبة عيد الفطر، والتي خطبها معالي الشيخ د. صالح بن حميد في ١/١٠/١٤٤١هـ، ومن خلال هذا الاطلاع تم تحديد (٣٧) خطبة جمعة، من خطب معالي وفضيلة المشايخ أئمة وخطباء الحرمين الشريفين؛ لتكون هي مجال البحث والاستقراء، فيما يهدف إلى التعرف بالمنهج الأمثل في التعامل مع هذه الجائحة، من منظور منبر الحرمين الشريفين، وبيان أثر وتأثير خطب الحرمين الشريفين في مثل هذا الموضوع العالمي، وجعلت عنوان البحث: (قراءة في خطب الحرمين الشريفين، وأثرها في جائحة كورونا). وكانت منهجية البحث مبنية على المنهج الاستقرائي التحليلي باستقراء تلك الخطب، ومن ثم تحليلها واستنباط ما يتعلق منها بعنوان البحث، بذكر مثال واحد أو أكثر وفق المباحث التالية:

المبحث الأول: خصائص خطب الحرمين في الجائحة.

المبحث الثاني: مقدمات تأصيلية في الأمراض والأوبئة.

المبحث الثالث: المنهج الشرعي في التعامل مع الأمراض والأوبئة.
وختمت بحثي بأهم النتائج والتوصيات، والمراجع وبيان بالخطب التي
تمت الاستفادة منها.

وسأجعل بإذن الله ما يتم استقطاعه ونقله من الخطبة مثالا على المحور
الذي أذكره بين هلالين، أشير إلى اسم الخطيب، وتاريخ الخطبة في الهامش،
مع عزو الآيات وذكر السورة ورقم الآية، وسيكون تخريج الأحاديث وتوثيق
الاقتراسات في الهامش.

ولأن موضوع جائحة كورونا من الموضوعات المستجدة؛ فقد كانت
البحوث والدراسات التي لها علاقة بعنوان بحثنا قليلة، كان من أبرزها:

١. بحوث الندوة الطبية الفقهية الثانية: فقد عقد مجمع الفقه الإسلامي
الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، الندوة الطبية الفقهية الثانية،
والتي عقدت عبر تقنية مؤتمرات الفيديو، يوم ١٦ إبريل ٢٠٢٠، تحت
عنوان: فيروس كورونا المستجد (كوفيد - ١٩)، وما يتعلق به من معالجات
طبية وأحكام شرعية، تضمن ٢٤ توصية يمكن الاطلاع عليها من الرابط التالي:

https://www.oicoci.org/topic/?t_id=23343&t_ref=13

985&lan=ar

٢. بحث: الجائحة الكورونية على ضوء الأدلة والمقاصد الشرعية
لمعالي الشيخ د. عبد الرحمن السديس، وصدر في كتاب إلكتروني منشور على
النت.

ويشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة. فالمقدمة بعنوان: أهمية الوقاية من جائحة كورونا المستجد. والتمهيد بعنوان: المقاصد الشرعية في الوقاية من جائحة كورونا. أما عن المباحث فكانت عناوينها:

المبحث الأول: حقيقة جائحة كورونا المستجد.

المبحث الثاني: جهود المملكة العربية السعودية الوقاية من جائحة كورونا المستجد.

المبحث الثالث: إرشادات وأحكام للوقاية من جائحة كورونا المستجد.

٣. بحث: أحكام تراحم مرضى وباء كورونا على الموارد الطبية، في ضوء مقاصد الشريعة والقواعد الفقهية للباحثة ليفة ميلود.

وقد تناول البحث هذا الموضوع بعرض هذه النازلة على مقاصد الشريعة الإسلامية المتعلقة بحفظ النفوس، وما قَعَّده علماء الإسلام من قواعد فقهية تضبط مسالك الترجيح بين أصحاب الحقوق عند تراحمهم، وقد خلص البحث إلى وضع معايير الترجيح بين المرضى حال تراحمهم على الموارد الطبية، بما يحقق العدل الذي قامت عليه.

٤. دراسة: "التدابير الوقائية والشرعية للحد من انتشار فيروس كورونا المعاصر في الشريعة الإسلامية"، للباحث: مظهر أحمد الراغب.

وقد تناولت الدراسة: النصوص الشرعية للتعامل مع الأوبئة، ثم التعريف بكورونا، ثم عرّجت الدراسة على التدابير الوقائية والشرعية للحد من انتشار

فيروس كورونا المعاصر، وتحديث الدراسة عن القواعد الفقهية التي تضبط التعامل مع مصابي فيروس كورونا حال حياتهم وبعد مماتهم.

٥. "تفعيل المقاصد الشرعية على الوقاية من الأمراض المعدية: فيروس كورونا نموذجاً"، للباحث: أنس فهمي.

وقد قدم الباحث فيها دراسة تأصيلية للوقاية من الأمراض المعدية بتفعيل المقاصد الشرعية، وقد اعتمد في دراسته على المنهج الاستقرائي التحليلي.

وحتى كتابة هذه المقدمة، مازالت جائحة كورونا وفيروساتها ما بين انكماش وانتشار على مستوى العالم، لكن والله الحمد وبعد توفيق الله ﷻ، ثم ما كان من توجيهات وإجراءات من قيادتنا الرشيدة، والوزارات المعنية، وتقيد المواطنين والمقيمين بالإجراءات الاحترازية؛ فإن بلادنا المباركة المملكة العربية السعودية في موضع أمان وطمأنينة مع هذه الجائحة.

أسأل الله ﷻ أن يحفظنا بحفظه، وأن يجزي ولاية أمرنا خير الجزاء، وأن يديم علينا العفو والعافية في الدنيا والآخرة.



المُبْحَثُ: الْأَوَّلُ

خصائص خطب الحرمين في جائحة كورونا

خطب الحرمين الشريفين كما قدمت خطبا يراها ويسمعاها العالم أجمع، كيف؟! وهي تلقى من فوق أشرف المنابر، منبر المسجد الحرام ومنبر المسجد النبوي، وقد كان لهما ومازال الأثر العظيم -ولله الحمد- في نفوس المسلمين في جميع أرجاء المعمورة، وفي جائحة كورونا اتضح ذلك جلياً، والمتتبع لتلك الخطب يجد في مجموعها تكاملاً في تبليغ المنهج الشرعي في التعامل مع مثل تلك الجوائح والأوبئة، ويخلص أيضاً بخصائص لتلك الخطب مع هذه الجائحة يمكن إجمالها بالتالي:

الاستدلال بمصادر التشريع

من المنهج النبوي في الخطبة: الاستدلال بمصادر التشريع؛ من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما بني عليهما من فهم السلف الصالح؛ ولذا فإن المتتبع لتلك الخطب يجد هذا الأمر ظاهراً وواضحاً فيما يتعلق في الجائحة وغيرها، بل تكاد أن تجد الاستدلال حاضراً في كامل الخطب، جاء في خطبة فضيلة الشيخ د. عبد الباري بن عواض الثبتي التي خطبها في المسجد النبوي^(١) ربط الناس بكلام ربهم، حيث قال وفقه الله: (القرآن عظيم في آياته، قوي الدلالة

(١) الجمعة ١٠/٨/١٤٤١هـ.

في عبره وعظاته، ينور البصيرة، ويبين سنن الله في الكون والحياة والأحياء، ومن آياته قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].
 فالله -سبحانه- خالق كل شيء، كل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السماوات ولا في الأرض إلا والله خالقها، لا خالق غيره ولا رب سواه، وحين يقرأ المسلم قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

كما أن الاستدلال بالسنة النبوية كان حاضراً في تلك الخطب ومن أظهر الخطب في ذلك، عندما تحدث فضيلة الشيخ صلاح البدير عن الهدي النبوي في الوقاية، فقد جاء فيها: (وخمّروا الوجه عند العطاس والسعال، وغطوه بالمناديل ونحوها؛ لئلا يؤدي أحدكم جليسه بالنفثة التي تخرج من فمه أو أنفه، أو بالميكروبات التي تنتشر في محيط العطسة أو السعلة؛ لأن العدوى قد تنتقل -بأمر الله تعالى- بواسطة استنشاق الرذاذ الملوث في الهواء، والفضلة المنتشرة للشخص المصاب، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن رسول الله -ﷺ- قال: (إذا عطس أحدكم، فليضع كفيه على وجهه، وليخفض صوته) أخرجه الحاكم^(١)، واغسلوا الأيدي قبل الطعام وبعده، وبعد قضاء الحاجة، وبعد ملامسة من تخشى العدوى بملامسته، وكلما أصاب اليدين أذى من عرق أو وسخ أو قدر، فعن عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: (كان رسول الله -ﷺ- إذا

(١) مستدرک الحاكم ح ٧٦٨٤، والحديث صحيح الإسناد.

أراد أن يأكل أو يشرب -أي: وهو جنب-، غسل يديه ثم يأكل أو يشرب) أخرجه النسائي^(١)،... والاحتجاب عمن داؤه يعدي -عادة- لا حرج فيه، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: (وفرّ من المجذوم كما تفر من الأسد) أخرجه البخاري^(٢)، وعن الشريد بن سويد الثقفي -رضي الله عنه- قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي -ﷺ-: (إنا قد بايعناك، فارجع) أخرجه مسلم^(٣)، فلم يبايعه -ﷺ- مصافحة ولا مواجهة؛ لأن مخالطة المجذوم من أسباب العدوى عادة..^(٤).

والمتتبع أيضًا لخطب الحرمين الشريفين يجدها تؤكد على جملة من القواعد الشرعية التي تتناسب مع هذه الجائحة، كقاعدة: سد الذرائع، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والدفع أولى من الرفع، مما سيأتي بإذن الله تفصيله في المبحث الثاني والثالث.

ربط الناس بتوحيد الله تعالى.

التوحيد أهم المهمات، وأوجب الواجبات، وعندما تحل على الناس مثل هذه الجوائح ينبغي لأهل العلم والدعوة التأكيد على جناب التوحيد، وربط الناس بخالقهم ﷻ، وهذا ما تكرر كثيرًا في خطب الحرمين في هذا الوقت

(١) سنن النسائي ح ٢٥٧، والحديث صحيح الإسناد.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الجذام - ح ٥٧٠٧.

(٣) صحيح مسلم - كتاب السلام - باب اجتناب المجذوم ونحوه - ح ٢٢٣١.

(٤) صلاح البدير ١١/٧/١٤٤١هـ.

خاصة، ومن ذلك:

ما جاء في خطبة فضيلة الشيخ د. فيصل بن جميل غزاوي^(١)، حيث قال وفقه الله:

(من الحكم في هذه النازلة: ظهور الدلائل للمرتابين، أن رب العالمين هو المتفرد بتصريف الكون وتديره وحده لا شريك له، من الذرة وما هو أصغر منها وما هو أكبر، ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

فهذا الفيروس لو كان ينتقل من شخص إلى شخص طليقا من مشيئة الله وقدرته وتديره، لأصاب الناس جميعا، أو أصاب الأكثر، ولكنه محكوم ومقهور ومأمور بمشيئة الله -تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ﴾ [النور: ٤٣]، وهذا فضل من الله وعدل، وهذا ما قرره النبي -ﷺ- في عقيدة التوحيد، بقوله ﷺ: (لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر) رواه البخاري^(٢) ومسلم^(٣).

عدم تأخير البيان عن وقت الحاجة

فمنذ بداية فشو الجائحة في العالم، خطب فضيلة الشيخ عبد الباري بن عواض الثبتي وفقه الله خطبة بليغة، في يوم الجمعة ١٤٤١/٦/٢٠ هـ -وذلك

(١) الجمعة ١٤٤١/٨/١٧ هـ.

(٢) صحيح الإمام البخاري: كتاب الطب - باب لا عدوى - ح ٥٤٣٧.

(٣) صحيح الإمام مسلم: كتاب السلام - باب لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، ولا نوء، ولا غول، ولا يورد ممرض على مصح - ح ٢٢٢٠.

قبل أن تصل الجائحة إلى بلادنا-عن الأوبئة والأمراض، وبيّن المنهج الشرعي في التعامل معها، وهكذا لما صدر التوجيه الملكي بتعليق العمرة في يوم الأربعاء ١٤٤١/٧/٩هـ، جاءت خطبة الحرمين في الجمعة التي تلت هذا التوجيه الكريم بالتأكيد على حكمة هذا التوجيه، وتوافقه مع المقاصد الشرعية. فجاء في خطبة فضيلة الشيخ د. عبد الله بن عواد الجهني في المسجد الحرام^(١) تأكيد هذا المعنى بقوله وفقه الله:

(ومن هذا المنطلق -يا عباد الله- جاءت الإجراءات التي اتخذتها حكومة المملكة العربية السعودية، بقيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين -أيدهما الله بتأييده-، بتعليق العمرة والزيارة مؤقتًا؛ للحد من انتشار هذا الوباء القاتل، متوافقة مع نصوص الشريعة، فحفظ الأرواح من مسئوليات الحاكم الكبرى، وله تقدير ذلك بعد سؤال أهل العلم والاختصاص).

وفي المسجد النبوي أكد أيضًا فضيلة الشيخ صلاح بن محمد البدير^(٢) وفقه الله على هذا المعنى بقوله: (ونؤيد الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها حكومة المملكة العربية السعودية؛ لمنع تفشي فيروس "كورونا"، ومنها: تعليق الدخول للمملكة؛ لغرض العمرة، وزيارة المسجد النبوي بصفة مؤقتة، ونشيد بحكمة هذا القرار، وسمو أهدافه، وجيل مقاصده، وعظيم فائدته وعائدته على صحة الأبدان والبلدان).

(١) الجمعة ١٤٤١/٧/١١هـ.

(٢) الجمعة ١٤٤١/٧/١١هـ.

وضوح العبارة.

وفي مثل هذه الأوقات، ومع تلك الإجراءات والتعليمات، كانت كلمة منبر الحرمين واضحة وجلية، في الالتزام بالتعليمات، والتقيد بالإجراءات، جاء في خطبة فضيلة الشيخ صلاح بن محمد البدير التي خطبها في المسجد النبوي^(١) في وقت الحجر الكلي قوله وفقه الله:

(أيها المسلمون، والتزموا بالإجراءات والاحترازاات، والتعليمات والتوجيهات، التي تمنع من انتشار كورونا، وحاذروا التجمعات على موائد الإفطار والسحور في رمضان، فحجر في بيت، ولا لوعة على ميت).

ومن ذلك أيضًا ما أوصى به الشيخ سعود الشريم الناس، فقال: (نرى بوادر انحسار تلکم الجائحة باديًا على الأبواب، إن مضى الناس على فعل ما يجب، وما علينا جميعًا إلا أن نكون يدًا واحدة، في تشييع تلکم الجائحة خارج واقعنا إلى غير رجعة -ياذن الله-، ولن يكون ذلك إلا بشعورنا جميعًا بالمسؤولية، فلن يعود عمل متكامل بعد الله إلا بتعاوننا ووعينا، ولا تعليم منضبط إلا باللقاح، ولا عودة لتجارة ناجعة، ولا معيشة مستقرة دون هذا الشعور الواعي، فالله الله في أنفسكم عباد الله، وفي مجتمعاتكم)^(٢).

تفصيل ما يحتاج إلى التفصيل.

وهذا واضح لمتتبع خطب الحرمين الشريفين، بل إن بعض الخطب

(١) الجمعة ١٤٤١/٩/١هـ.

(٢) د. سعود الشريم ١٤٤٣/١/١٢هـ.

يكون موضوعها موضوعاً واحداً، يفصل فيه الخطيب تفصيلاً يناسب الحال، ويوصل الفكرة للمستمع، كما جاء في خطبة فضيلة الشيخ صلاح بن محمد البدير^(١)، وكان عنوانها الرئيس: (الوقاية من الأمراض والأوبئة)، والوقاية باب واسع واسع؛ لهذا فصل الشيخ وفقه الله في ذلك، وذكر فيها ما يتعلق بالوقاية، ووسائلها الواردة في الكتاب والسنة، ومن ذلك ما يتعلق بـ:

- آداب العطاس والسعال، وعلاقتها بانتشار الفيروسات.
- آداب الأكل والشرب.
- أحكام العدوى والتعامل مع المجذوم.
- الحجر الصحي، وما يتعلق به من وصايا وأحكام.

وخطب معالي الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس خطبة كاملة^(٢) عن نعمة العافية ومعناها، وما جاء في ذلك في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فقد بين مفهوم العافية، وأنه واسع لا ينحصر في عافية الجسد وصحة البدن، كما قد يفهمه بعض الناس، بل هو يشمل الدنيا والآخرة، وتطرق إلى وسائل تحقيق العافية، وإن من أهمها سؤال الله العافية، والالتجاء إليه في أوقات المحن والمصائب، وبين بعض وسائل الوقاية من الأمراض، وأنه مقصد شرعي مهم، وقريب من هذه الخطبة ما تحدث به فضيلة الشيخ د. علي بن عبد الرحمن الحذيفي^(٣).

(١) الجمعة ١١/٧/١٤٤١هـ.

(٢) الجمعة ٣/٨/١٤٤١هـ.

(٣) الجمعة ١٧/٨/١٤٤١هـ.

كما أن خطبتا فضيلة الشيخ د. سعود بن إبراهيم الشريم، وفضيلة الشيخ صلاح بن محمد البدير، التي كانتا في الأول من رمضان، فصلتا ما ينبغي أن يكون عليه المسلم في رمضان في زمن الوباء.

التأكيد على السمع والطاعة لولي الأمر.

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة، السمع والطاعة لولي الأمر، وخاصة في وقت النوازل والجوائح التي تتعلق بالأرواح والأنفس والصحة العامة، وقد كان لولاة أمرنا -أيدهم الله- السبق والمبادرة في الحفاظ على ذلك، قال فضيلة الشيخ د. أسامة بن عبد الله خياط^(١):

(ألا وإنه يجب الالتزام التام بكافة الإجراءات الاحترازية، التي تتخذها الجهات المختصة، والتعاون معها على ذلك؛ تعاونًا على البر والتقوى، وطاعة لولي الأمر، وتحقيقًا للمقاصد الشرعية، وأخذًا بالأسباب الوقائية، وحفاظًا على الأنفس، وحرصًا على ما فيه السلامة من كل داء، والنجاة من كل بلاء).

وقال معالي الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس في خطبته^(٢):
(ولضمان صحتكم وسلامتكم أيها المسلمون، فقد اتخذ ولاة الأمر في هذه البلاد -وفقهم الله- إجراءات واحترازا، مبنية على أسس شرعية قبل أن تكون مادية، وبذلت في ذلك الغالي والنفيس، وواجب علينا أن نكون عونًا لها على حمايتنا، باتباع الإرشادات والنصائح).

(١) الجمعة يوم ٢٥/٧/١٤٤١هـ.

(٢) الجمعة ٣/٨/١٤٤١هـ.

وقد ألقى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان -حفظه الله-، كلمة ضافية حملت جملة من المعاني، التي تؤكد حرصه -أيده الله- على صحة الجميع؛ ولذا أكد على هذه المعاني فضيلة الشيخ د. علي بن عبد الرحمن الحذيفي في خطبته^(١) بقوله: (ويشكر لولي الأمر خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله- حرصه الشديد على صحة المواطنين والمقيمين، في كلمته التي وجهها، ويشكر لحكومته قيامها بالواجب الذي كلفها به أعزه الله).

وتكررت من خطباء الحرمين عبارات الشكر والدعاء لولاة أمرنا -وفقهم الله-، وما قاموا به من دور ريادي في هذه الجائحة، جاء أيضًا في خطبة لفضيلة الشيخ د. علي بن عبد الرحمن الحذيفي^(٢): (وجزى الله خير الجزاء ولاة أمرنا -رعاهم الله-، على بذلهم السخي في مواجهة هذا الوباء الجارف، وحرصهم الشديد على صحة المواطنين والمقيمين).

وفي خطبة فضيلة الشيخ د. سعود بن إبراهيم الشريم^(٣) قوله وفقه الله: (وإننا لنحمد الله -جل شأنه- أن أكرم بلادنا بنعمة البدار؛ لمدافعة هذه الجائحة ورفعها، ثم نلهج بالشكر للقيادة -وفقها الله- على ما بذلته من خطوات ملموسة في تهيئة سبل درء تلكم الجائحة، والشكر موصول كذلك للمعنيين دون استثناء، كلاً في مجاله، فلهم منا جميعاً الدعاء بأن يجزيهم الله عنا خير

(١) الجمعة ٨/٣/١٤٤١هـ.

(٢) الجمعة ١٧/٨/١٤٤١هـ.

(٣) الجمعة ١/٩/١٤٤١هـ.

الجزء، وأن يجعل ما بذلوه أسباب خير في كشف هذه الغمة، وأن يلبسنا وإياهم وإياكم وجميع إخواننا المسلمين لباس الصحة والسلامة والعافية، إن مولانا - جل شأنه - خير مسئول، فنعم المولى ونعم النصير).

• (ويشكر لولي الأمر خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - حرصه الشديد على صحة المواطنين والمقيمين، في كلمته التي وجهها، ويشكر لحكومته قيامها بالواجب الذي كلفها به أعزه الله)^(١).

• (وجزى الله خير الجزاء ولاة أمرنا - رعاهم الله -، على بذلهم السخي في مواجهة هذا الوباء الجارف، وحرصهم الشديد على صحة المواطنين والمقيمين)^(٢).

• (ولضمان صحتكم وسلامتكم أيها المسلمون، فقد اتخذ ولاة الأمر في هذه البلاد - وفقهم الله - إجراءات واحترازات مبنية على أسس شرعية قبل أن تكون مادية، وبذلت في ذلك الغالي والنفيس، وواجب علينا أن نكون عوناً لها على حمايتنا باتباع الإرشادات والنصائح)^(٣).

• (وبما أن الشيء بالشيء يذكر، فإن من قلب بصره يمّنة ويسرة، أدرك حقيقة ما من الله به علينا في بلدنا الطيب، من امتياز بارز في مدافعة هذه الجائحة، وتلك نعمة تستوجب الشكر لله أولاً على هذا التوفيق؛ ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ثم الشكر بعد فضل المنعم موصول لكل من له يد في مدافعتها، ممثلة

(١) د. علي الحذيفي ١٤٤١/٨/٣ هـ.

(٢) د. علي الحذيفي ١٤٤١/٨/١٧ هـ.

(٣) د. عبد الرحمن السديس ١٤٤١/٨/٣ هـ.

في قيادة هذه البلاد وفقها الله، وفي وزاراتها ومؤسساتها، ومتطوعيها أفرادا كانوا أو جماعات، فإنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، وفي الحديث الصحيح: (ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا، فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه)^{(١)(٢)}.

• (وقد خصت بلاد الحرمين الشريفين رواد الحرمين الشريفين؛ من المصلين والمعتمرين والزائرين، بمزيد الاهتمام والعناية والرعاية، من خلال إجراءات نموذجية وتقنيات حديثة، متخذة لسلامة قاصدي الحرمين من هذه الجائحة، فالمأمول من الجميع الاستمرار في الالتزام بالإجراءات الاحترازية، وتطبيق التدابير الوقائية، والتعاون مع الجهات المعنية، حتى تزول الجائحة -ياذن الله، حفظ الله بلادنا بلاد الحرمين الشريفين من كل سوء ومكروه، وسائر بلاد المسلمين)^(٣).

• وإن (مما يذكر ويشكر في هذا السياق، وفي هذا السباق تجلّت فضائل هذه البلاد المباركة، بقادتها وولاة أمرها ومسؤوليها، وبحزمها وعزمها، ترعى كل من على أرضها؛ من مواطن ومقيم وزائر، إنهم الجنود المجندة في كل ميدان، في الحدود وفي الثغور، وفي الصحة، وفي الحرمين الشريفين، وفي التجارة، وفي كل مرفق، فله الحمد والمنة)^(٤).

(١) سنن أبي داود ح ٥٠١٩ بإسناد صحيح.

(٢) د. سعود الشريم ١٤٤٣/١/١٢ هـ.

(٣) د. عبد الرحمن السديس ١٤٤٢/٩/٤ هـ.

(٤) د. صالح بن حميد ١٤٤٢/٧/١٤ هـ.

إن هذا الشكر والدعاء لولاية الأمر، مظهر من مظاهر تأكيد السمع والطاعة المأمور به المسلم.

ومما يتأكد في السمع والطاعة لولي الأمر، التحصين باللقاءات المعتمدة الفعالة، والمشاركة في المنصات والتطبيقات المخصصة لذلك، فإن هذا - والله الحمد- (مما يستبشر به في هذا المجال توفر اللقاءات الفعالة، فينبغي للجميع السعي في الحصول على اللقاءات في حينها، والمشاركة في التطبيقات والمنصات المخصصة لذلك)^(١).

وبالجملة فـ (في ظل استمرار هذه الجائحة، فإنه يجب علينا، العمل بتوصيات وزارة الصحة، وذلك من طاعة ولي الأمر؛ لمنع انتشار العدوى، وهذا واجب شرعي للمحافظة على الأنفس، فكم من متهاون بالتعليمات عرّض حياته وحياة غيره إلى ما لا تحمد عقباه)^(٢).

(ومن رحمة المولى - سبحانه-، أن من على خلقه -بعد الذي أصابهم من الشدة والأواء، وتفشي مرض كورونا المستجد- أن من عليهم ووفقهم للقاءات فعالة، معتمدة من جهات الاختصاص، تقي -بإذن الله تبارك وتعالى- من هذا المرض الخطير، وإن من فعل الأسباب يا عباد الله، أخذ هذا اللقاح الموصى به، والتواصي على أخذه حسب الإجراءات المتبعة من قبل وزارة الصحة، وعدم تصديق إشاعات المرجفين، التي تتردد هنا وهناك، بعدم فعالية

(١) د. عبد الرحمن السديس ١٤٤٢/٧/٧هـ

(٢) د. ماهر المعيقلي ١٤٤٢/٦/٢٣هـ.

هذا اللقاح، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، وإن مما يذكر ويشكر في هذا المقام، بعد شكر الله -تبارك وتعالى- شكر ولاية الأمر في هذه البلاد -حفظهم الله- على تلكم الإجراءات المتخذة؛ لتوفير ذلكم اللقاح بالمجان، للمواطنين والمقيمين؛ حرصاً منهم على سلامتهم، وتجنبيهم خطر الإصابة بهذا الداء، بل كان قادتها -حفظهم الله- هم السباقين لأخذ هذا اللقاح؛ تطميناً للمترددين، ودحضاً للمرجفين، فجزاهم الله خير الجزاء، وجعل ما قدموه للبلاد والعباد في ميزان حسناتهم، ودفع عنهم كل سوء ومكروه^(١).

ولما تقرر إقامة الحج وفق إجراءات احترازية، أكدت خطب الحرمين على هذا المعنى المهم: (فإن من القواعد الشرعية: جلب المصالح ودرء المفاسد، وإزالة الضرر، والحفاظ على النفس البشرية، وعدم تعريضها للوباء والخطر، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فهذه الدولة المباركة تجعل من صحة الإنسان أولى أولوياتها، وأدق اهتماماتها، والحج شعيرة الدين، وشرف الدولة، وقد لقي هذا القرار الموفق السديد الاستثنائي الترحيب والتأييد الإسلامي والعالمي، والله الفضل والمنة، فالواجب على الجميع التجاوب مع هذا القرار الحكيم؛ حفاظاً على صحتهم وسلامتهم، فنعم القرار، ونعم متخذه، ونعم المتجاوبون معه، والحمد لله في بدء ومختتم، والشكر لله أن أعطى وأن وهب^(٢).

(١) د. عبد الله الجهنبي ١٤٤٢/٦/٢هـ.

(٢) د. عبد الرحمن السديس ١٤٤١/١١/١٩هـ.

المبحث الثاني

مقدمات تأصيلية في الأمراض والأوبئة

كورونا بدأ كمرض أصيب به بعض الأشخاص في الصين، ثم بدأ بالانتشار في بعض الدول، حتى أضحى اليوم جائحة عالمية، ووباء وصل لأكثر دول العالم؛ ولذا حرص أئمة وخطباء الحرمين الشريفين - وفقهم الله - على تأصيل جملة من الأمور، التي تعتبر كالمقدمات في أساس نظرة المسلم لمثل هذا الحدث وما شابهه، ويمكن إجمالها بالآتي:

المقدمة الأولى: تفرد الله - ﷻ - بالخلق والملك والتدبير:

الله - ﷻ - له الحكم والأمر في جميع تغيرات الكون، (فالوباء الذي أصاب العباد، وعم الحاضر والباد، وإن كان محنة وابتلاء، وزاجرًا يزر الله به الناس، فهو كذلك منحة؛ إذ فيه دليل على تفرده - ﷻ - بالخلق والملك والتدبير، وسعة علمه وعظمته، وقدرته وقهره، وأن أزمة الأمور بيده، وأنه المستحق للعبادة وحده، لتفردة بالربوبية، وأن العباد ضعفاء عاجزون مفتقرون إليه)^(١).

والله - ﷻ - (وسع كل شيء رحمة وعلما، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، وأحصى كل شيء عدداً، ودبر خلقه تدبيراً، لطيف بما يشاء لما يشاء إلى ما يشاء، وكان بخفي قدره، ودقيق علمه ببواطن خلقه، ونفاذ حكمه، لطيفا

(١) د. فيصل غزاوي ١٧/٨/١٤٤١ هـ.

خيبراً، لطف ببصره لحقائق الأحداق فأدركها، وبسمعه لخفي الأصوات فدققها، وبعلمه لدقيق الخطرات فحققها، ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] (١).

ف (الله أكبر، أولى من حمد، والله أكبر أحق من شكر، والحمد لله أرحم من قصد، ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلَدْ﴾ ٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿ [الإخلاص: ٣-٤].

يقال ذلك... والعالم تجتاحه هذه الجائحة التي لا تعرف الحدود، ولا تستأذن في الدخول، لا تحدّها سلطة، ولا يمنعها مانع، جائحة أظهرت ضعف الإنسان، وقلة حيلته، وقصر نظره، فلا الثراء منها يمنع، ولا الفقر فيها يوقع، جيش أبرهة، هلك بالأبابل، والنمرود هلك ببعوضة، وهذا المخلوق الضعيف أمات مئات المئات، وحبس الناس، وقطع الاتصالات، أغلقت الحدود، وأعلنت الطوارئ، وتوقفت الرحلات، كم يجثو على أرض المطارات من الطائرات، وكم يقف في المحطات من القطارات؟! (٢).

فهذا الفايروس (مخلوق صغير لم تعجزه الدول الكبرى، ولم توقفه الأمم العظمى، يرهبهم العطاس، ويبعثهم السعال، كل يبحث عن النجاة، مخلوق صغير لا يرى بالعين المجردة، جاء ليوقظ من غفلة، وليكشف العجز، ويبرز

(١) أحمد طالب ٢٥/٨/١٤٤١هـ.

(٢) د. صالح بن حميد ٦/١٠/١٤٤١هـ.

الضعف، وليدل على الواحد القهار، القادر الجبار، ذي العزة والجلال، لا إله إلا هو، أوقف العالم ولم يقعه، وشل أركان الدول، وعاث في الأمم، ارتعد أمامه الأقوياء، واضطربت من جرائه الأوضاع، واهتزت له منصات العالم، أسمع صرير أقلام الكتاب والفلاسفة والمحللين، لا عظيم إلا المهيمن الجبار، ولا قوي إلا الله العلي الغفار^(١).

المقدمة الثانية: لا كاشف للضر إلا الله ﷻ:

الإنسان مهما أصابه من خير أو ضر، فإنه محكوم بأمر الله ﷻ، ذلكم أن الله يتلي بالخير، ويتلي بغيره، ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ومن هنا نعلم أن: (صروف الليالي وتقلب الأيام يعقبان المرء تبدل أحوال، ونزول شدائد، وحلول كرب، يتخللها من الغموم والهموم ما يستحوذ على صاحبها، ويسوؤه في نفسه أو ولده، أو جسمه أو صحته وعافيته، أو عرضه أو ماله، أو بلده، فيضيق بها صدره، ويلتمس تفريجها، وكشف ضرها، فيذكر قول ربه الأعلى - سبحانه -: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

ويذكر قوله - عز اسمه -: ﴿قُلْ مَنْ يُجْحِكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]، فيستيقن أنه - سبحانه - المنجي من كل كرب، الكاشف كل ضر^(٢).

(١) د. صالح بن حميد/ خطبة عيد الفطر ١٤٤١هـ.

(٢) د. أسامة خياط ٢٥/٧/١٤٤١هـ.

المقدمة الثالثة: الدنيا دار ابتلاء:

(الدنيا دار مصائب وابتلاء، ومحن ولأواء، دار مواجع وفواجع، دار آلام ونقم، وصحة وسقم، ومرض وعافية، وشفاء وبلاء، دار أقراح وأتراح، وهموم وأحزان، ويأس وبؤس)^(١) فهي (دار ابتلاء واختبار، وتبدل الأحوال، وتقلب الليالي والأيام، فيها العبر لمن اعتبر، وفيها الفرح والسرور، وفيها الحزن والحبور، وفيها العسر واليسر، وفيها الصحة والمرض، والعافية أن يسلمك الله في كل أحوالها)^(٢)؛ لأن السعيد من عرف هذه الحقيقة، فإن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر؛ تأسيًا بقول النبي ﷺ: (عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) رواه مسلم^(٣).

(وإذا كان ذلك كذلك، فإن للنوازل والابتلاءات عبادات وأخلاقيات، لا تظهر إلا مع طول البلاء والابتلاء، ينبغي لأهل الإيمان والصلاح العناية بها، والاهتمام بها، من ذلك: الرجوع إلى الله بإظهار أنواع العبودية، من الخضوع له - سبحانه -، وحسن التوكل عليه، والصبر، والتضرع، والانكسار، والتسليم، واليقين، وصدق التوبة، والدعاء، وسلامة الصدر، وملاحظة ألطاف الله في أقداره، وملازمة أذكار الصباح والمساء، وإظهار الفقر والعجز والمسكنة،

(١) د. عبد الله البعيجان ١٨ / ٧ / ١٤٤١ هـ.

(٢) د. عبد الرحمن السديس ٣ / ٧ / ١٤٤١ هـ.

(٣) صحيح الإمام مسلم - كتاب الزهد والرفائق - باب المؤمن كله له خير - ح ٢٩٩٩.

والتبرؤ من الحول والقوة، والثقة بالله وحده، وعدم التعلق بالبشر.
ومن هذه الأخلاقيات والعبادات: الاستكثار من الخير ليدفع به البلاء،
ويكشف به الضراء من: حسن العباداة، والصدقات، وصلة الرحم، والإحسان
إلى الجار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقضاء الحوائج، ونصر
المظلوم، وتفريج الهموم، وإغاثة الملهوف، وسد الفاقات، وبخاصة من
حبسهم الوباء عن العمل، ولا مدّخرات لهم، فهم داخلون في قوله -عز شأنه-:
﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي
الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

ومن ذلك عباد الله: الأخذ بالأسباب الحسية، من أجل حفظ النفس،
وحفظ الناس من: النظافة، والتباعد الاجتماعي، ولبس الكمامات، وأخذ
اللقاحات، والتزام التعليمات الصادرة من جهات الاختصاص، حسب
توجيهات ولاية الأمر^(١).

المقدمة الرابعة: المرض سنة من سنن الله في الحياة:

يتقلب الإنسان في هذه الحياة بين صحة ومرض، (والمرض سنة من سنن
الله في الحياة -في حياة البشر-، يصيب به من يشاء من عباده، ويكشفه عمن
يشاء، وهو العالم بكل الأمراض وأسبابها وكنهها ومنشئها، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ
شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال ﷺ: (واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك،

(١) د. صالح بن حميد ١٤/٧/١٤٤٢ هـ.

وما أصابك لم يكن ليخطئك) (١) (٢).

(المرض سبب للجوء العبد إلى ربه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، وكم من مرض فجر ينابيع الخير في قلب صاحبه، وأطلق لسانه ذكراً وحمداً وتسييحاً، المرض يظهر العبد من مشاعر الكبر والتفاخر، ويولد في النفس انكساراً، ويملؤها تواضعاً وذلاً للخالق) (٣).

قال الحافظ ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ -: وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾ يعني: الفقر والضيقة في العيش، ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ وهي الأمراض والأسقام والآلام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ أي: يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون (٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ -: وَخَلَقَ أَحَدَ الضَّادَيْنِ يَنَافِي خَلَقَ الضَّادَ الْآخَرَ، فَإِنْ خَلَقَ الْمَرَضُ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ ذَلُّ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، وَدَعَاؤُهُ وَتَوْبَتُهُ وَتَكْفِيرُ خَطَايَاهُ، وَيَرْقُّ بِهِ قَلْبُهُ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ الْكِبْرِيَاءُ وَالْعِظَمَةُ وَالْعِدْوَانُ، يُضَادُّ خَلَقَ الصَّحَّةَ الَّتِي لَا تَحْصُلُ مَعَهَا هَذِهِ الْمَصَالِحُ؛ وَلِذَلِكَ خَلَقَ ظَلَمَ الظَّالِمِ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ لِلْمَظْلُومِ مِنْ جِنْسٍ مَا يَحْصُلُ بِالْمَرَضِ، يُضَادُّ خَلَقَ عَدْلَهُ الَّذِي

(١) سنن أبو داود ح ٤٧٠٠ بإسناد صحيح.

(٢) د. عبد الباري الثبتي ١٤٤١/٦/٢٠هـ.

(٣) د. عبد الباري الثبتي ١٤٤١/٦/٢٠هـ.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٢٩.

لا تحصل به هذه المصالح، وإن كانت مصلحته هو في أن يعدل. وتفصيل
حكمة الله في خلقه وأمره يعجز عن معرفتها عقول البشر^(١).

المقدمة الخامسة: من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ النفس:

الإسلام جاء بحفظ الضرورات الخمس، التي هي الدين والنفس والعقل
والعرض والمال؛ ليعيش المسلم في هذه الدنيا آمنًا مطمئنًا، يعمل لدنياه
وآخريته، ويعيش المجتمع المسلم أمة واحدة متماسكة؛ كالبنيان يشد بعضه
بعضًا؛ وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى
والسهر، ولا يمكن ذلك إلا بحفظ هذه الضرورات الخمس من الخلل والعبث؛
إذ من المتقرر أن (من مقاصد الإسلام حفظ النفس، ومجانبتها عن كل عدوى،
قال ﷺ: (فر من المجذوم فرارك من الأسد)^(٢) ^(٣)).

المقدمة السادسة: ضعف الإنسان وقصور علمه ومحدودية قدرته:

الإنسان مهما بلغت قوته، وازدادت وسائل خدماته، وتعددت علومه
ومعارفه، إلا أنه يبقى محتاجًا إلى خالقه ﷻ، وفي هذه الأيام و(مع ظهور الأوبئة
المفاجئة، وسرعة حصدها لأرواح خلق كثير، يتأكد ضعف الإنسان، وقصور علمه،
ومحدودية قدرته، مهما بلغ قوة وسطوة، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]،

(١) منهاج السنة ٣/ ١٧٦.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب الجذام - ح ٥٧٠٧.

(٣) د. عبد المحسن القاسم ٢٤/ ٨/ ١٤٤١ هـ.

وهذا يدعوه إلى أن يطاق من نفسه، ويخضع لخالقه، خضوع التوبة والإنابة^(١).

ف (البشر مهما عظمت قوتهم، واشتدت شوكتهم، وتقدمت علومهم، فوصف الضعف ملازم لهم لا ينفك، قال جل وعلا: ﴿وَمَا أُوْنِتُمْ مِّنَ الْعَالَمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، أما القوة الحقيقية الكاملة، التامة من جميع الوجوه، فهي وصف ثابت للقوي المتين ﷻ المالك الحقيقي، مدبر الأمور ومصرفها، كل شيء بقضائه وقدره، وتحت تدبيره ومشيئته، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فلنجتهد في عبادته، ولننصب في طاعته، ولنتضرع إليه، ونلجأ إلى جنبه -عز شأنه- ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]^(٢).



(١) د. عبد الباري الثبتي ١٤٤١/٦/٢٠هـ.

(٢) د. عبد الباري الثبتي ١٤٤١/١١/٥هـ.

المبحث الثالث

المنهج الشرعي في التعامل مع الأمراض والأوبئة

في مثل هذه الجوائح، وفي وقت انتشار الأوبئة، تتغير كثير من أحوال الناس؛ ولذا يجب على المسلم في مثل هذه الأحوال، أن يستقي منهجه من العلم النافع الذي سيعمل به؛ من المنهج الشرعي المبني على كتاب الله تعالى، وسنة نبيه محمد ﷺ، وفق فهم السلف الصالح، قال الحافظ ابن رجب رحمته الله ^(١): "فالعلم النافع هو ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها، والتقييد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، في معاني القرآن والحديث"، وقد أجاد أئمة وخطباء الحرمين الشريفين - وفقهم الله - في استنباط هذا المنهج الشرعي، في التعامل مع مثل هذه الأحوال، والذي يمكن أن نجمله في التالي:

التأكيد على الإيمان بالقضاء والقدر:

إن من المقرر أن من أصول الإيمان: الإيمان بالقضاء والقدر، فالإيمان بالقدر خيره وشره أحد أركان الإيمان، كما جاء ذلك صريحاً في حديث جبريل عليه السلام الطويل، الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، وفيه قول النبي ﷺ عندما أخبره عن أركان الإيمان: (وتؤمن بالقدر، خيره وشره) ^(٢)، وقد قرر أهل العلم أن

(١) مجموع رسائل ابن رجب ٢٦/٣.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان والإيمان بالقدر - ح ٨.

للإيمان بالقدر أربع مراتب هي^(١):

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله -ﷻ-، بأن يؤمن العبد بأن الله -تعالى- بكل شيء عليم، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه عالم بما كان وما يكون، وأنه ما وقع شيء إلاّ بعلمه.

المرتبة الثانية: الإيمان بالكتابة، أي أن الله كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة.

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله العامة، وأن كل شيء واقع بمشيئته -ﷻ-.

المرتبة الرابعة: فهي الإيمان بخلق الله، وأن كل كائن فهو مخلوق لله -ﷻ- لا خالق غيره ولا رب سواه.

وجائحة كورونا وما صاحبها من: أحداث وأحوال وتغيرات، كلها بقدر الله تعالى (فالقدر خيره وشره يجب الإيمان به، وربنا أخبرنا بأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]، وقال سبحانه: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]، فربنا -سبحانه- يعلم ما كان ويعلم ما يكون، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون^(٢).

(١) من كلام الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ مَقْتَبَسٌ مِنْ مَوْقِعِهِ الْإِلِكْتُرُونِي.

<https://binothaimeen.net/content/10598/>

(٢) د. علي الحذيفي ٣/٨/١٤٤١هـ.

(ومن آمن بالقضاء والقدر، عوضه الله ما فات من الدنيا، قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، قال ابن كثير رحمه الله^(١): أي ومن أصابته مصيبة، فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدىً في قلبه، وبقينا صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه)^(٢)، وعلى المسلم أن يكون راضياً بقضاء الله وقدره، (وأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء، شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣])^(٣).

التوكل على الله تعالى:

في مثل هذه الجوائح من أهم الوصايا: الوصية (بالتوكل على الله، وصدق الالتجاء إليه، واعتماد القلب عليه، فقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ، وَكَفَى بِهِ بُدُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، وضمن الله لمن توكل عليه حقاً،

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٧٥.

(٢) د. عبد المحسن القاسم ٢٤ / ٨ / ١٤٤١ هـ.

(٣) د. عبد الله البعيجان ١٨ / ٧ / ١٤٤١ هـ.

والتجأ إليه صدقاً، ضمن له الكفاية، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] (١).

(فالتوكل على الله يقوي العزائم، والقلب والروح، والمناعة في الجسم، فالخوف والهلع والقلق يضطرب معه كل شيء في البدن، وتضعف مقاومة البدن للأمراض، والتوحيد طمأنينة وأمان من كل خوف) (٢).

و(ما أحوج الأمة اليوم، مع انتشار الأمراض العضوية، والنفسية والاجتماعية، ودواعي القلق والمخاوف! ما أحوجها إلى معرفة حقيقة التوكل على الله، وصدق الاعتماد عليه! في جلب المنفعة ودفع المضرة، في أمور الدنيا والآخرة، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، فالتوكل من أعظم العبادات، وأجل القربات، وهو أعلى مقامات التوحيد وأجلها، وأشرف الطاعات وأعظمها، والدين قسمان: استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، وذلك في قول الرب -تبارك وتعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، بل لا يقوم الدين إلا على التوكل، فمنزلة التوكل من الدين كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على الجسد، فكذلك لا يقوم الإسلام والإيمان والإحسان إلا على التوكل، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣] (٣).

(١) د. علي الحذيفي ١٧/٨/١٤٤١هـ.

(٢) د. علي الحذيفي ٣/٨/١٤٤١هـ.

(٣) د. ماهر المعيقلي ٢٩/١١/١٤٤٢هـ.

ومن المعلوم أن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب، ف (الأخذ بالأسباب مأمور به شرعاً وعقلاً، فمن اعتمد على الأسباب وتوكل عليها، أشرك بالله تعالى، ومن تركها وعطلها، خالف الشرع والعقل)^(١)، بل إن الأخذ بالأسباب من التوكل على الله.

وبالجملة: فإن (المسلم مأمور بالأخذ بالأسباب الشرعية، والتجارب المباحة، بعد التوكل على الله)^(٢) و(حين نتحدث عن الرضا بقضاء الله وقدره، وتفويض الأمور إليه، فلا يفضي ذلك إلى العجز والتواكل، وترك الأخذ بالأسباب والتخاذل، بل يكون العمل بكل ما في الوسع والطاقة، والاجتهاد على قدر الاستطاعة، من فعل الأسباب التي سخرها الله، ومدافعة أقدار الله بأقداره)^(٣).

(والأخذ بالأسباب وسيلة للوقاية، وتخفيف آثار الوباء، وحماية لك ولأسرتك ولمجتمعك ولأمتك، وتوفير اللقاح وكل الإجراءات الاحترازية التي واكبت الوباء، تجسّد جهود ولاية أمرنا قادة هذه البلاد المباركة - وفقهم الله لكل خير-، بالحرص على صحة الإنسان، والدعاء موصول لكل من بذل علمًا ووقتًا، أو مالًا، أو فكرًا، قال رسول الله -ﷺ-: (تداووا؛ فإن الله -ﷻ- لم يضع داء إلاّ وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم)^(٤) (٥).

(١) د. علي الحذيفي ٣/ ٨/ ١٤٤١هـ.

(٢) د. علي الحذيفي ٣/ ٨/ ١٤٤١هـ.

(٣) د. ماهر المعيقلي ٢٤/ ٨/ ١٤٤١هـ.

(٤) سنن أبو داود ح ٣٨٥٥ بإسناد صحيح.

(٥) د. عبد الباري الثبتي ٨/ ٧/ ١٤٤٢هـ.

غرس حسن الظن بالله :

جائحة كورونا من المصائب التي حلت على العالم، وكان لها الأثر الكبير على الدول والأفراد، وأمام تلك المحن الحالة أو المتوقعة، فإن المسلم يحسن ظنه بربه، فله في كل أمر حكمة، وهو ﷺ لطيف بعباده، ذلك بأن (حسن الظن بالله، في حكمته وتديره ولطفه بعباده ورأفته بهم ورحمته بحالهم، أعظم الأسباب في رفع البلاء، قال ﷺ: (قال الله -ﷻ-: أنا عند ظن عبدي بي) متفق عليه^{(١)(٢)}.

ومن حسن الظن بالله: التفاؤل ف (الأوبئة تكون ثم تهون، وكم من أوبئة حلت ثم اضمحلت، وجلت ثم جلت، وتوالت ثم تولت، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: (ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟، قال: كلمة طيبة) رواه البخاري^(٣)، والعرب تسمي اللديغ سليماً، والكسير جبيراً؛ تفاؤلاً، وتسمي الجماعة الناهضة المنشئة للسفر قافلة؛ تفاؤلاً بقولها، أي: رجوعها، فانشروا الفأل والطمأنينة، ولا يكن أحدكم مديعاً أو فزاعة كلما سمع خبراً أطاره وأشاعه^(٤).

(١) صحيح البخاري-كتاب التوحيد - باب: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ - ح ٧٤٠٧ وصحيح مسلم -كتاب الذكر والدعاء والتوبة -باب فضل الذكر والدعاء، والتقرب إلى الله تعالى - ح ٢٦٧٥.

(٢) د. عبد المحسن القاسم ١٤٤١/٨/٢٤هـ.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب لا عدوى - ح ٥٦٧٦.

(٤) صلاح البدير ١٤٤١/٧/١١هـ.

ومن حسن الظن بالله: اليقين بأن فرج الله قريب فـ (إن مما يعزي النفوس عند نزول الشدائد، وحلول المحن، ويصرف عنها موجة الألم لفواجعها ونكباتها، الأمل في فرج الله القريب، والثقة في رحمته وعدله؛ إذ هو - سبحانه - أرحم الراحمين، ومن رحمته لعباده أنه لا يتابع عليهم الشدائد، ولا يكرثهم بكثرة النوائب، بل يعقب الشدة بالسعة، والابتلاء بالرحمة وسابغ النعماء، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]، فقد تكرر اليسر بعد العسر مرتين، ولن يغلب عسر يسرين، وحيثما وجد العسر على تنوع ألوانه، واختلاف دروبه، وجد إلى جانبه يسر ينقّس الكربة، ويجبر القلب، ويواسي الجراح، وينسي الآلام، ويذهب الأحزان خاصة حين يلجأ المؤمن في شدته وبلائه إلى ربه، ويسأله - سبحانه - أن يبدله من بعد شدته رخاء، ومن مجالب أحزانه وبواعث همه فرجاً ويسراً وعافية^(١).

ومن حسن الظن بالله: عدم اليأس من روح الله، فعلى لسان يعقوب عليه السلام في خطابه مع أبنائه: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

(يا صاحب الهم إن الهم منفرج L أبشر بخير فإن الفارج الله اليأس يقطع أحياناً بصاحبه L لا تيأسن فإن الكافي الله

(١) د. أسامة خياط ٢٥ / ٧ / ١٤٤١ هـ.

L لا تجزعن فإن الكاشف الله
 إذا بليت فثق بالله وارض به
 L إن الذي يكشف البلى هو الله
 إذا قضى الله فاستسلم لقدرته
 L ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
 والله ما لك غير الله من أحد
 L فحسبك الله في كل لك الله
 يا صاحب الهم إن الهم منفرج
 L أبشر بخير فإن الفارج الله^(١)

ومن حسن الظن بالله: التأدب معه - سبحانه -، (فلا يتبرم ولا يسخط، بل يتجمل بالصبر، ويبصر في المرض منحا ربانية، وفضلاً عظيماً، دخل رسول الله - ﷺ - على أم السائب - أو أم المسيب -، فقال: (ما لك يا أم السائب - أو يا أم المسيب - تزففين؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها. فقال: لا تسبي الحمى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم؛ كما يذهب الكير خبث الحديد)^(٢) (٣).

ومن حسن الظن بالله: معرفة حقيقة الدنيا، وأنها دار ممر وليست دار مقر، فإن المتأمل في (حكمته - سبحانه - في هذه الدار، كيف جعل نعيمها ولذائها سببا في عمارتها حتى حين، وجعل آلامها المكدرة لنعيمها باعثاً على تطلب

(١) د. عبد الله البعيجان/١٨/٧/١٤٤١هـ.

(٢) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها - ح ٢٥٧٥.

(٣) د. عبد الباري الثبتي ٢٠/٦/١٤٤١هـ.

النعيم الذي لا يشوبه نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، فإن النفس -بجبلتها- تطمح إلى اللذة التي لا يشوبها ألم، والنعمة التامة التي لا يكدرها الرهق والحرمان، فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، تلك المزاوجة بين المقبلين في الدنيا، نعيم مشوب بآلم، وخير ممزوج بشر؛ ليبقى الإنسان بين الساكن إلى الدنيا، والمقبل على الآخرة، فلا يسكن إلى الدنيا سكوناً ينسيه الآخرة، فيخسر الخسران المبين، ولا يتركها صرماً فيضعف في معاشه، ويضعف في طريقه إلى الله، بل لا بدّ من قدر من السكون يستطيع به العيش عليها، وإنفاذ مراد الله فيها، واتخاذها مزرعة للآخرة، وطريقاً موصلاً إلى نعيمها الأبدي^(١).

النظرة الإيجابية للبلاء والوباء:

إن من أهم الأمور التي تخفف من وطأة البلاء، النظرة الإيجابية تجاهه؛ لكي تطمئن نفس المسلم، ويرتاح باله، ف(المستقبل غيب، لا اطلاع لنا عليه، فما الذي يدعونا أن نعيش في حال من الخوف والذعر، والهلع والتشاؤم، ونخشى ما سيكون في مستقبل أيامنا، ويتكدر خاطرنا، ويستولي علينا الهم والتفكير، خائفين وجلين، ماذا ينتظرنا غداً، وما الذي سيجري من وقائع ومخاطر وأحداث، بينما حال المؤمن الثبات والتجلد واليقين، وعدم التزعزع مهما كان، فهو يعيش في سكون واستقرار واطمئنان، ويعلم أن مشيئة الله نافذة، وقدرته كاملة، وأن ما قدره

(١) د. بندر بليلة ٢٢/٩/١٤٤١هـ.

عليه كان، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه^(١)، وقد أحسن أئمة وخطباء الحرمين الشريفين، في استقاء جملة من المعاني المهمة، تساعد المسلم على النظرة الإيجابية للبلاء والوباء، ومن تلك المعاني الإيجابية:

لكل داء دواء:

ف (من رحمة الله وعظيم ألطافه، أن جعل لكل مرض دواء، وجعل لكل داء سبباً للشفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله، قال رسول الله - ﷺ -: (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء)^(٢)، وفي الحديث: الترغيب في طبّ الأبدان، فقد سخر الله - سبحانه - لعباده الدواء في الأرض والكون، فدواء سره في الماء، وآخر يستخلص من الغذاء، وثالث من نبات الأرض، ورابع من سموم الكائنات، بل إن الدواء موجود في كل مكان، كل ذلك يسره الله رحمة بعباده؛ لعلمه بضعفهم وحاجتهم، وافتقارهم إليه سبحانه)^(٣).

وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم:

هدانا الله - ﷻ - في كتابه إلى هذه القاعدة الربانية، ففي (القرآن الكريم حكم وأسرار، ومصالح للعباد، قال تعالى في كتابه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: على

(١) د. فيصل غزاوي ١٤٤١/٨/١٧هـ.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء - ح ٥٦٧٦.

(٣) د. عبد الباري الثبتي ١٤٤١/٦/٢٠هـ.

العبد أن يعلم أن المكروه قد يأتي بالمحجوب، والمحجوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد، وبذلك يرتاح من سوء الظن في أنواع الاختيارات، ويرى قلبه من التقديرات والتدبيرات، التي يصعد منها في عقبة، وينزل في أخرى، ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه، فلو رضي باختيار الله له، أصابه القدر حينئذ، وهو محمود مشكور، ملطوف به مع اختياره لنفسه، ومتى صح تفويضه ورضاه، اكتنفه في المقدور العطف عليه واللفظ به، فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهون عليه ما قدره، إذا نفذ القدر في العبد، كان من أعظم أسباب نفوذه تحيله في رده، فلا أنفع له من الاستسلام، وإلقاء نفسه بين يدي القدر طريقاً كالميتة، فإن السبع لا يرضى أن يأكل الجيف، انتهى كلامه ﷺ^(١) ^(٢).

فالمحن في طياتها المنح (فكم يا عباد الله، في الشدائد والمحن من المنح والعطايا، وهذه حقيقة لا يوقن بها إلا من رضي بالله حق الرضا، وأحسن الظن به، وصدق في التوكل عليه، وفوض الأمر إليه، وكان على يقين وثقة بوعدده، أنه - سبحانه - لا يريد بعباده إلا الخير والصلاح، والفوز والفلاح، فقد توافي المضرة من جانب المسرة، والمسرة من جانب المضرة)^(٣).

(١) الفوائد ص ١٣٦.

(٢) د. عبد الرحمن السديس ١٤٤١/٨/٣ هـ.

(٣) د. ماهر المعيقلي ١٤٤١/٨/٢٤ هـ.

إحسان ضيافة البلاء:

ومما يتأكد من النظرة الإيجابية في أوقات البلاء والوباء: إحسان ضيافة البلاء، وقد لخص فضيلة الشيخ د. فيصل غزاوي ذلك الإحسان بقوله: (وإياكم إياكم عباد الله، أن تستطيّلوا زمان البلاء، وتضجروا من كثرة الدعاء؛ فإنكم مبتلون بالبلاء، متعبدون بالصبر والدعاء، ولا تيأسوا من روح الله وإن طال البلاء، فلولاً البلاء لوردنا القيامة مفاليس، ولو فتحت لكم أستار الغيب، لأحببتم ابتلاءكم، كما قال نبيكم - ﷺ: (يود أهل العافية يوم القيامة، حين يعطى أهل البلاء الثواب، لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض) رواه الترمذي^(١)، فأحسنوا ضيافة الابتلاء؛ فإن الابتلاء عابر سبيل، وإن الله رب كريم^(٢)).

الوباء ليس شراً محضاً:

(إن تلکم الجائحة التي حلت بعالمنا اليوم، لا تحسبوها شراً محضاً، بل إن لنا في طياتها لدروساً وعبراً، ما كنا لتعلمها قبل ذلكم، مع إيماننا بمولانا أنه قد أعطانا كثيراً وأخذ قليلاً... ومما علمتنا إياه تلکم الجائحة، أثر الوعي في سلامة المجتمعات، فإننا متى جعلنا الوعي ذا بال في تصرفاتنا، فلن نخفق - بإذن الله - في التعامل مع النوازل والخطوب، فبالوعي يعرف أحدنا متى يرفع

(١) سنن الترمذي - ح ١٠٦٣ بإسناد حسن.

(٢) د. فيصل غزاوي ١٧/٨/١٤٤١ هـ

بصره، ومتى يريخيه، ويعرف مصلحة دفعه الأخطار قبل وقوعها، وأنها أعلى وأولى من رفعها بعد وقوعها، فمن وفق في وعيه وفق في حذره، فأحسن قراءة ما بين سطور الأزمات، ومن ثمّ نجح في إدارتها، وخرج منها بأقل الجراح والخسائر، فإن الوعي والحذر أمران زائدان على مجرد السمع والإبصار، فما كل من يبصر يعي ويحذر ما يبصره، ولا كل من يسمع كذلككم.

وإن مما علمتنا إياه تلکم الجائحة: أن الإنسان في حقيقته يستطيع العيش دون كثير من المكملات والتحسينات، التي كان يخالها في دائرة الحاجيات والضروريات، وأنه كان في غفلة بالغة عن أعمال مفهوم الادخار في حياته، وحسن تصريف كسبه، ولا غرو عباد الله، فإن مثل تلکم الجائحة ستنتقه من غفلته، فيعمل في مستقبل دنياه مفهوم الادخار، ليعزز به احتباس جزء من كسبه؛ للتخفف به من أعباء مستقبله؛ خشية نوازل تطرق بابه، أو تحل قريباً من داره.

ولا شك أن في مثل ذلك حسن تصرف، وإتقاناً في إدارة الرزق، وتميزاً في توجيه مدّخراته، الوجهة التي يتقن بها الفرز الصحيح بين ضرورياته وحاجياته وتحسيناته، التي تتزاحم عليه بين أزمة وأخرى، فإنه لن يستقيم أمر معاشه ما لم يوازن بين إنفاقه وتوزيعه وادّخاره، كيف لا؟! وقد جاء في الصحيحين: أن النبي -ﷺ- قال: (كلوا وأطعموا وادخروا)^(١)؛ إنه ينبغي علينا جميعاً -عباد

(١) صحيح البخاري - كتاب الأضاحي - باب: ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يُنزّود منها - ح ٥٥٦٩.

الله - ألا نجعل تلکم الجائحة حدثًا تاريخيًا عابرًا وحسب، بل لا بد أن نستلهم منها عبراً وعظات في كل شؤوننا، وأن نخرج منها - بفضل الله - أقوى وأوعى، وأكثر استعدادًا للنوازل من ذي قبل، وينبغي ألا تضعف قوانا وألا تلقي علينا لحاف اليأس والهم والفرق، كيف لا؟! ونحن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره^(١).

شكر الله أن المصيبة لم تكن في ديننا:

(وإننا لنحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، أن لم يجعل ما حلّ بنا مصيبة في ديننا؛ إذ كل المصائب قد يرجى تحمّلها إلا المصيبة في الدين، كيف لا؟! وقد جاء في الحديث أنه كان من دعاء النبي - ﷺ - قوله: (ولا تجعل مصيبتى في ديني) رواه الطبراني^(٢) وغيره، نعم، أيها المسلمون، نحمد الله أن لم يجعلها جائحة في ديننا وعباداتنا وأخلاقنا، وأما المال فإنه غاد ورائح، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، وأما الصحة فذات فتح وذات إغلاق، ويعتري الإنسان ما يعتريه من عوارض صحية، ومن عاش لم يخل من مصيبة، وقل أن ينفك عن عجيبة.

ولكل ما يؤذي وإن قل ألم L فما أطول الليل على من لم ينم^(٣)

(١) د. سعود الشريم ١/٩/١٤٤١هـ.

(٢) معجم الطبراني الصغير ح ٨٦٦ بإسناد حسن.

(٣) د. سعود الشريم ١/٩/١٤٤١هـ.

الاستبشار برمضان:

أقبل على المسلمين رمضان عام ١٤٤١ هـ بصورة (لم يعهدها كبيرهم، ولم يسمع بها صغيرهم، جائحة حالت بينهم وبين ما عهدوه في عباداتهم وأعمالهم، واقتصادهم وحلهم وترحالهم، لقد وفد إليهم شهرهم هذا في زمن هم أحوج ما يكونون فيه إلى كفكفة دموعهم ولمّ شعثهم، واستكمال قوتهم، وفتح ما انغلق، ورفع ما سقط، وجمع ما تفرق، ووصل ما انقطع، مشرئين إلى وفود شهرهم على أحرّ من الجمر؛ ليجعلوا منه شهر ذكر وعبادة وصدقة وقراءة وإنابة، ملحين في دعائهم ربهم أن يعجل لهم بكشف هذه الغمة، وأن يخلفهم فيما فقدوه خيراً، ويجعل ما أصابهم طهوراً لهم، ورفعاً في درجاتهم، وعظة لهم وذكرى فيما يستقبلون في دنياهم وما يستأخرون، وما يأخذون منها وما يذرون، مستلهمين حال أمر المؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له؛ ليظفروا إثرها بالبشرى، والصلاة من الله عليهم وبرحمته وهدايته لهم، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] (١).

إن فقد صلاة الجمعة والجماعة والتراويح في رمضان لأمر محزن، لكنه أبداً لا يحول بين المسلم وتقربه من ربه، ولا يجعله أبداً ينظر نظرة سلبية إلى

(١) د. سعود الشريم ١/٩/١٤٤١ هـ.

واقعه، فإن دخل الحزن إلى قلبه فأضعف عبادته، فالنصيحة أن يستمع إلى صوت النظرة الإيجابية القائل: (أيها المحزون على غلق المساجد، وفقد اللفوف والصفوف والألوف في الجمع والجماعات والتراويح، لا تكثرن المراثي، ولا يأخذنك التضور للرزية، فليس ذلك بنافع شيئاً، وألهج بذكر الله وتسبيحه وتعظيمه وإجلاله، وتفكر في الآيات والعظات، وأظهر الافتقار والاستغفار والاعتذار، وأكثر من الاعتبار والادّكار)^(١).

وإن من الاستبشار برمضان، الاستبشار برفع الغمة مع دعوات المصلين والقانتين، ولهذا المعنى لفت الأنظار فضيلة الشيخ د. علي الحذيفي في خطبته في رمضان بقوله: (أيها المسلمون،... أكثروا من الدعاء؛ لرفع الغمة عن الأمة، فقد عودكم الله استجابة الدعاء في هذا الشهر الكريم، وتوسلوا إلى الله بصالح أعمالكم، فإن ذلك من أسباب الاستجابة، فألحوا على الله الرب الرحيم، أن يرفع هذا الوباء عن هذه البلاد خاصة، وعن بلاد المسلمين عامة، وأن يرفعه عن عباد الله؛ فالرب على كل شيء قدير)^(٢).

الاستبشار بعودة الصلاة في المساجد جماعة:

فلما (عظم خطب جائحة "كورونا" على المسلمين، فتعطلت صلاة الجماعة، وعظمت لوعة من تعلق قلبه بالمساجد، فاشتد وجده وشوقه وحنينه،

(١) صلاح البدير ١/٩/١٤٤١هـ.

(٢) د. علي الحذيفي ٢٢/٩/١٤٤١هـ.

وقد جاء الله بالفرج، فجعل من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، فهي هي المساجد قد فتحت أبوابها، وهيئت أرجاؤها، هذه هي بيوت الله تنتظر عمارها وزوارها، قد ارتفعت أصوات مآذنها تنادي: "حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح"، ها هو بيت الله وحرمة ومنسك المسلمين، مفتوح يستقبل الزوار والمعتمرين، فاحمدوا الله واشكروه، واسألوه أن يرفع ما بقي من الوباء، وأن يصرف عنا جهد البلاء، وأن يتم العافية والشفاء، وهلموا -عباد الله- إلى بيوت الله، أجيئوا داعي الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ويصلحكم ويسعدكم ويهديكم، ﴿وَأَقِمْ وَجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وحافظوا على الفرائض حيث ينادى بهن، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨] ^(١).

وبعد عودة الحياة إلى طبيعتها بعد الحجر الاحترازي الكامل والجزئي، خطب معالي أ. د. عبد الرحمن السديس ^(٢) خطبة بليغة، ذكر فيها جملة من المنح بعد هذه المحنة، نقطف للقارئ الكريم أجزاء منها:

(الجوائح تكون ثم تهون، وكم من أوبئة حلت ثم اضمحلت، وها هي - بفضل الله - البشارات مشوبة بحذر، تتوالى بانكشاف الغمة، التي أَلَمَت، وكم

(١) د. عبد الله البعيجان: ٨/ ٢/ ١٤٤٢هـ.

(٢) الجمعة ١٩/ ١١/ ١٤٤١هـ.

آلمت، ولكن لا تخلو المصائب والمآسي والأحزان من ممن يدركها أهل الإيمان، وكم في هذه المحنة (الكورونية) من منح، ودروس وعبر تستمنح، ومن فواتح تلك المنح:

تحقيق التوحيد الخالص لله، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

والمنحة الثانية: تقوية الإيمان المزهر واليقين المبهر، بقضاء الله وقدره فيما ذرأ في خلقه وكونه، ثم كانت المنحة الثالثة، تلك الجوهرة النفيسة، من جواهر الشريعة الخالدة، وهي حرمة النفس البشرية، التي كرمها الله وشرفها، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]،... فكان المنهج الإسلامي الوضاء، في مواجهة الأمراض والأدواء أنموذجاً فريداً ومثلاً يحتذى، في الوقاية ابتداءً، ثم العلاج والحجر الصحي انتهاءً، كما أبان لنا هذا المنهج السامي في خضم هذه الجائحة منحة رابعة؛ وهي أن الخوض والنظر في النوازل والمستجدات، والكوارث والأزمات، واستكنائه المغبات فيها والمآلات، معقود بأهل العلم والاختصاص، الراسخين والفقهاء النابهين، وذوي الحجا النابهين، الذين لا يصدر رأيهم إلا عن التريث والتشاور والتباحث والاجتماع، لا عن الزهو والأحادية، وحب الشهرة والظهور والاندفاع، فلا مجال للمتعالمين والمتطبيين، بله الدجاجة والمشعوذين، الذين يتعاملون عن آلاف الإصابات والوفيات، فمعاً محترزون، وجميعاً حذرون، وكلنا مسؤولون، وحقاً منتصرون.

... وفيما نستبصر به خامساً: أن تعي الأمة مكانة أوطانها، ومسؤولياتها

تجاه مجتمعاتها، خاصة في المجالين الأمني والصحي، وما عمرت الأوطان بمثل رفرفة راية العقيدة الصحيحة، على جناباتها، وتحكيم الشريعة، والقرآن والسنة، على أرضها وأهلها، ثم التلاحم الوثيق بين رعيتهما ورعاتها، وإعزاز القيم والفضائل، وإقصاء المخالفة والردائل، والدعاء الدعاء، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْضَحُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، والأوطان مسؤولية وأمانة في أعناقنا جميعاً، فلنحافظ عليها، ولتكن عودتنا لشؤون حياتنا بحذر واحتياط، واعتدال وتعايش، وتوازن بين التخوف والحيطة، مع التقيد التام بالإرشادات الصحية، والإجراءات الاحترازية، والتدابير الوقائية، وإنه لا بدّ من التعاون الدولي، والتنسيق العالمي، للتصدي لهذه الجائحة الخطيرة، أسوة بما تقوم به هذه البلاد المباركة.

... ومن أعظم المنح التي أظهرتها هذه المحنة (الكوروناية)، أن الوعي التام والثقیف العام أمانة شرعية، ومسؤولية خلقية، وضرورة اجتماعية، وقيمة حضارية، لا تزيد الأمم إلا تحضراً وعلواً، ورقياً ونموّاً؛ لذا لزم أن نعزز هذا الوعي لدى فلذات الأكباد والأجيال، في الأسر والبيوت، والمعاهد والجامعات، والمدارس والكلیات، وثمة ثمرة يانعة من أعظم الثمرات التي أظهرتها هذه المحنة؛ وهي الوحدة الدينية، والأخوة الإسلامية، والبعد الإنساني العالمي، حيث تلاشت الأهواء الشخصية، والأطماع الدنيوية، وظهر التعاون والتآزر والتضامن والتكافل، فكان الجميع على قلب رجل واحد، فتلاّأت في الآفاق مقاصد قول الله -ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله - سبحانه - ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، وكان الواقع

العملي تجسيداً للمعنى القرآني: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وهذا دأب وديدن بلاد الحرمين الشريفين -حرسها الله- ، مع أبنائها خصوصاً، ومع المسلمين وقضاياهم عمومًا، والإنسانية كافة، وسعيها في تحقيق الأمن والسلم الدوليين).

(وبالجملة فقد عاش النبي -ﷺ- هذه الحياة بخيرها وشرها، بحلوها ومرها، بسعتها وضيقها، بسرائها وضرائها، بمسراتها وأحزانها، بأفراحها وأتراحها، بأمنها وخوفها، وكان في جميع الأحوال مثلاً بليغاً، وقدوة حميدة في الرضا بقضاء الله، والشكر على نعمائه، والصبر على بلائه، والانتعاض والادكار بآياته، والتسبيح بحمده، والإخلاص في دعائه، والصدق في العبودية له، والحياء من جلاله، ومن هنا نعلم حاجتنا الماسة إلى معرفة نبينا -ﷺ-؛ لتقوى محبتنا له، فإذا ما أحبيناه اقتدينا بهديه، وتأدبنا بآدابه وتعاليمه، فبمتابعتة والسير على نهجه، يتميز أهل الهدى والرشاد من أهل الضلال والغي)^(١).

الالتجاء لله والتوبة:

(المرض سبب للجوء العبد إلى ربه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، وكم من مرض فجر ينابيع الخير في قلب صاحبه، وأطلق لسانه ذكراً وحمداً وتسبيحاً، المرض يطهر العبد من مشاعر الكبر والتفاخر، ويولد في النفس انكساراً، ويملؤها تواضعاً وذلاً

(١) د. فيصل غزاوي ١٣/١٠/١٤٤١هـ.

للخالق، ولولا محن الدنيا ومصائبها، لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه. ومصيبة تقبل بها على الله، خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله، والمسلم حين يبصر الآفات والأوبئة تحل بغيره أفرادًا ومجتمعات، فإنه يسأل الله -تعالى- السلامة مما ابتلاهم به، ويحمده على العافية^(١)، كما أن مثل هذه الجائحة وهذا الوباء يوقظ الغافل؛ ولذا (قال ابن حجر^(٢) - رحمه الله -: من فوائد الوباء والطواعين، تقصير الأمل، وتحسين العمل، واليقظة من الغفلة، والتزود للرحلة)^(٣).

كما أن (الله يستعيب عباده، ويخوفهم بالآيات ليتعظوا ويعودوا إليه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]، فهلا شعرنا بافتقارنا إليه، فلجأنا إليه، واعتمدنا عليه في أمورنا كلها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤) - رحمه الله -: من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين، أن ينزل بهم من الشدة والضر ما يلجؤهم إلى توحيده، فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحدًا سواه، فتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه، وحلاوة الإيمان وذوق طعمه، والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض أو الخوف، أو الجذب أو الضر، وقال

(١) د. عبد الباري الثبتي ١٤٤١/٦/٢٠هـ.

(٢) بذل الماعون في فضل الطاعون ص: ٣٧٨.

(٣) د. فيصل غزاوي ١٤٤١/٨/١٧هـ.

(٤) مجموع الفتاوى ج ١٠ ص ٣٣٢.

ابن القيم - رحمه الله -: - فلو لا أنه - سبحانه - يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء، لطغوا وبغوا وعتوا، والله - سبحانه - إذا أراد بعد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذّبه أهله لأشرف المراتب وهو عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه ^(١) ^(٢).

فالحاجة في زمن البلاء و(الضرورة إلى التوبة شديدة، والحاجة إلى المحاسبة أكيدة، قال جل وعلا: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧]، فلا تنقلب المصائب نعمًا، ولا البأساء والضراء رخاء وفرجًا، إلّا بتوبة العباد إلى ربهم، والرجوع إلى خالقهم، فبذلك يرحمهم - جل وعلا -، وينعم عليهم ويرفع بلواهم وما حل بهم، الله يمتحن عباده بالشدائد والمصائب والسيئات؛ ليرغبوا إلى طاعته، ويؤوبوا إلى جنبه، قال جل وعلا: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة: ٢١]، ويقول سبحانه: ﴿ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ^(٣).

وفي وقت البلاء (لا يتمنى المؤمن تعجيل العقوبة، بل يسأل الله العافية، عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاد رجلاً من المسلمين قد خفت، فصار

(١) زاد المعاد ج ٤ ص ٢٨٠.

(٢) د. فيصل غزاوي ١٧/٨/١٤٤١هـ.

(٣) د. حسين آل الشيخ ٢٩/٢/١٤٤٢هـ.

مثل الفرخ، فقال له رسول الله -ﷺ-: "هل كنت تدعو بشيء، أو تسأله إياه؟ قال: نعم. كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال رسول الله -ﷺ-: سبحان الله لا تطيقه، ولا تستطيعه، فهلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار." "فدعا الله -ﷻ-، فشفاه الله -ﷻ- "أخرجه مسلم^(١) ^(٢).

الدعاء:

الدعاء من أعظم الأبواب التي يرفع الله بها البلاء ف (الدعاء مفتاح قلب الأحوال إلى أحسن حال، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]^(٣)، (والواجب على المسلمين كافة التوكل على الله -ﷻ-، والتضرع والالتجاء إليه بالدعاء أن يرفع عن خلقه ما نزل بهم، فالدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، ﴿قُلْ مَا يَعْشُرُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧]) [د. عبد الله الجهنوي / ١١ / ٧ / ١٤٤١هـ]، (والدعاء يدفع الله به هذا الوباء وغيره، عن سلمان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: (لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر)^(٤) ^(٥)، (فلا رافع ولا صارف ولا مزيل ولا مفرج لهذا

(١) صحيح مسلم -كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا ح- ٢٦٨٨.

(٢) صلاح البدير ١/ ٢/ ١٤٤٢هـ.

(٣) د. عبد المحسن القاسم ٢٤/ ٨/ ١٤٤١هـ.

(٤) رواه الترمذي ح ٢١٣٩، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٥) د. علي الحذيفي ١٧/ ٨/ ١٤٤١هـ.

الوباء إلا الله، مالك الضر والنفع، المتصرف في خلقه بما يشاء، الذي تواضعت لعظمة جلاله المخلوقات، وتضاءلت واستكانت بين يديه جميع الكائنات، فآلَحُوا وكرروا: يا ربنا يا ربنا، قال الحسن^(١) في قوله -تعالى-: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ما زالوا يقولون: ربنا، ربنا، حتى استجاب لهم.

يا فارح الهم وكشاف الكرب L إليك وحدك الفرار والهرب

يا ربنا هذا الوباء قد اعتلج L وقنص الأجنة واختلج

فلا تطل علينا شدة وبيدك الفرج^(٢)

(كيف لا يدعوه، وهو الذي ناداه فقال جل في علاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وكيف لا يدعوه وهو يعلم أنه لا يرد القدر إلا الدعاء؟! وأنه لا يهلك مع الدعاء أحد؟! وكيف لا يدعوه والدعاء هو سبيل الأنبياء من قبل، الذي نالوا به من سبيل الخير ما نالوا؟!^(٣)، ومن أعظم أدعية الأنبياء ﷺ في أوقات البلاء (دعاء نبي الله يونس -عليه السلام- وهو في بطن الحوت، فقد أخرج الحاكم^(٤) -رحمته الله- في مستدركه بإسناد صحيح عن

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٣١٨.

(٢) صلاح البدير ١/ ٩/ ١٤٤١هـ.

(٣) د. بندر بليلة ١٠/ ٨/ ١٤٤١هـ.

(٤) مستدرك الحاكم ج ١ ص ٦٨٤.

سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له بها)؛ وذلك مصداقاً لقوله - سبحانه -: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَيَّرْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨] ^(١)، وعلى المسلم وهو يدعو ربه أن يتأدب بآداب الدعاء، (فيتوجه إليه بالدعاء متضرعاً مخلصاً خاشعاً خاضعاً، مخبتاً متحريراً أوقات الإجابة، مستيقناً إجابة دعوته) ^(٢)، وإنه في مثل هذه الأوقات التي يكثر فيها الوباء يجدر بالمسلم الإكثار من الدعاء بالعافية، فهو (الدعاء النافع لحفظ الدين وعافية الأبدان، وحفظ مصالح الدنيا والآخرة... ولا سيما في هذه النازلة العامة، والمصيبة الطامة، عن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - قال: قلت: (يا رسول الله، علمني شيئاً أدعو الله به، قال: سل ربك العافية، فمكثت أياماً ثم جئته قلت: يا رسول الله، علمني شيئاً أسأله الله - تعالى -، قال: يا عباس، يا عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، سل الله العافية في الدنيا والآخرة) رواه الترمذي ^(٣)، وقال: هذا حديث صحيح... قال إمام القراء والمحدثين في زمانه محمد بن محمد بن الجزري - رحمته الله - ^(٤): فلينظر العاقل مقدار هذه الكلمة، التي اختارها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمه، فإن من أعطي العافية فاز بما يرجوه ويحبه قلباً وقالباً

(١) د. أسامة خياط ٢٥/٧/١٤٤١هـ.

(٢) د. أسامة خياط ٢٥/٧/١٤٤١هـ.

(٣) سنن الترمذي ح ٣٥١٤ بإسناد صحيح.

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين ص ٤٥٩.

وديناً، ووقي ما يخافه في الدارين علماً يقيناً، فلقد تواتر عنه - عليه السلام - دعاؤه بالعافية، وورد عنه لفظاً ومعنى من نحو خمسين طريقاً، هذا وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو المعصوم على الإطلاق حقيقة، فكيف بنا ونحن عرضة لسهام القدر، وغرض بين النفس والشيطان والهوى^(١).

و«قال العلامة ابن القيم - رحمته الله -: جمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية؛ فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه^(٢)»، فجمع أمر الآخرة في كلمة، وأمر الدنيا كله في كلمة، وكان من تمام هديه - عليه السلام - سؤال الله العافية غدوة وعشيا^(٣).

الصبر:

ومن أعظم أبواب رفع البلاء: الصبر على أقدار الله، (فالله - عليه السلام - قدر مقادير الخلائق وأرزاقهم وآجالهم، وابتلاهم بالحسنات والسيئات، فتن في السراء ومحن في الضراء، فهذا آدم - عليه السلام - خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، ثم ابتلاه الله بأكل الشجرة، فأخرجه من الجنة، ثم قال الله - سبحانه - في حق ذريته من بعده: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]^(٤)، (ومما يقوي

(١) د. علي الحذيفي ١٧/٨/١٤٤١هـ.

(٢) زاد المعاد ج ٤ ص ١٩٥.

(٣) د. عبد الرحمن السديس ٣/٨/١٤٤١هـ.

(٤) د. علي الحذيفي ١٧/٨/١٤٤١هـ.

الصبر، يقين العبد أن ما أصابه إما أن يكون تكفيراً لذنوبه، أو سبباً لنعمة لا تنال إلا على جسر من المشقة والابتلاء، ثم تكون العاقبة حميدة^(١).

(والمصائب والنوازل والكوارث العامة، تثاب عليها أمة الإسلام بالصبر والاحتساب، وهي عبرة للناس؛ ليتفكروا من أي أبواب الذنوب أتوا؛ لئلا يكرروا الذنوب؛ ولئلا يرتكبوا ما هو أكبر؛ ولئلا يعاقبوا بما هو أعظم؛ وليتذكروا ما كانوا فيه من النعم قبل النازلة؛ لتدوم عليهم العافية والأمن والرخاء بالطاعات، قال سبحانه في سنته في عباده: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ﴾ [الإسراء: ٨]، والله -جل وعلا- لا يديم على الأمة النوازل، بل يرفعها إذا شاء، فانتظروا فرج الله، وقابلوا البلاء بالدعاء والإنابة، فإن الرب -سبحانه- غني عن عذاب الناس، ولكنه -سبحانه- يحب لهم أن يعملوا الصالحات، ويهجروا المنكرات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]^(٢).

صنائع المعروف:

صنائع المعروف، وتلمس احتياجات الضعفاء من الأمور التي يدفع الله بها البلاء، وقد تنوعت عبارات أئمة وخطباء الحرمين الشريفين في غرس هذا

(١) د. عبد الباري الثبتي ١٤٤١/٨/٢١٠هـ.

(٢) د. علي الحذيفي ١٤٤٢/٦/١٦هـ.

المعنى، حتى كُنت بمجموعها حلقة متكاملة في هذا المقام -أعني مقام أثر صنائع المعروف في رفع البلاء-، ويمكن أن يتم تلخيصها في الوصايا التالية:

١. أثر الصدقة: (والصدقة تطفئ غضب الرحمن، وبها تتضاعف الأجور، وتكفر الخطايا والأوزار، وتفرج الكرب، والمتصدق آمن في الدنيا والآخرة، قال ﷺ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْإِنْفَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤] ^(١).

٢. الوصية بتلمس حاجات الضعفاء: (عباد الله، تلمسوا حاجات إخوانكم العجزة والضعفاء والمساكين، علّ الله أن يبدل خوفنا أمناً، وغضبه رضا ومغفرة ورحمة والراحمون يرحمهم الرحمن) ^(٢).

٣. وصية لأصحاب الرأي والفكر ورجال المال والأعمال: (وفي ظل هذه الجائحة العامة يتوجب على أصحاب الرأي والفكر، ورجال المال والأعمال، أن يستشعروا واجبهام الديني، ومسئوليتهم ورسالتهم في مثل هذه الأحداث التي يمتحن فيها الإيمان، وتتجسد فيها ومعها معاني الأخوة؛ لتخفيف آثار الأزمة عن فقراء ومساكين وأيتام أحاط بهم العوز، وسقطوا ويسقطون من تداعيات الوباء وتوقف بعض الأعمال؛ وذلك بإطلاق المبادرات الاقتصادية والمالية والاجتماعية والنفسية والأسرية، كل حسب تخصصه وموقعه وعلى

(١) د. عبد المحسن القاسم ١٤٤١/٨/٢٤هـ.

(٢) د. عبد الرحمن السديس ١٤٤١/٨/٣هـ.

قدر همته، قال رسول الله -ﷺ-: (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)^(١)(٢).

٤. التراحم والإحسان إلى الناس: (فيا أيها المؤمنون، إن ما أَلَمَّ بالناس اليوم من هذه الجائحة العارمة، لهو مدعاة للتراحم والعطف والإحسان، والمؤمن يحمل الخير والرحمة للناس، ويألم لحالهم، ويشفق عليهم، فما مس غيره من الداء قد يمسه، وما أصاب المبتلى قد يصيب المعافي، فهو يتمنى لهم العافية والنجاة، والفوز في الدنيا والآخرة، داعياً ربه أن يكشف ما أصابهم، وأن يعافي مبتلاهم، ويصرف عنه وعنهم البلاء.

يا عباد الله، إن المسلم في هذه الأحوال يسعى أن يكون نفاعاً للناس، لا يألو جهداً في جلب الخير لهم، والمصارعة في نفعهم، بأي وجه من وجوه النفع المباح، وهذا يدخل في عموم قوله -ﷺ-: (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل) رواه مسلم^(٣)، وخير الناس أنفعهم للناس، وكل معروف يبذل

(١) صحيح مسلم-كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر-ح٢٦٩٩.

(٢) صحيح مسلم-كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر-ح٢٦٩٩.

(٢) د. عبد الباري الثبتي ١٠/٨/١٤٤١هـ.

(٣) صحيح مسلم-كتاب السلام-باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة-ح٢١٩٩.

للناس فهو صدقة، وتفريج الكربات والتكافل الاجتماعي، وإدخال السرور على الناس من أفضل العبادات وأعظم الكربات، فلتتعاون على ذلك؛ حرصًا على فعل الخير، ورجاء أن يكون لنا نصيب من الأجر والحسنات^(١).

٥. الوصية بالإكثار من صنائع المعروف: (فحري بنا هذه الأيام، أن نظهر افتقارنا لربنا، ونتقرب له بصالح أعمالنا، وأن نكثر من صنائع المعروف، فصنائع المعروف، مما يكشف الله بها البلاء، ويرفع بها الوباء، ويغفر بها الذنوب، ويستر بها العيوب، ويفرج الله بها الهموم والغموم، ففي المعجم الأوسط للطبراني قال رسول الله -ﷺ-: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء)^(٢)، وصنائع المعروف كثيرة، وحوائج الناس متنوعة: إطعام جائع، إعانة عاجز، إنظار معسر، عفو عن إساءة، سعي في شفاة، كسوة عار، وتعليم جاهل، فإن كنت لا تملك هذا ولا ذاك، فادفع بكلمة طيبة، فالكلمة الطيبة صدقة، وإلا فليسعك بيتك، وكف أذاك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك)^(٣).

٦. المشاركة في المبادرات الخيرية من الجهات المصرّح لها: (ونحث المحسنين على المشاركة في المبادرات الخيرية في رمضان؛ كمبادرة "خير المدينة"، بهدف إطعام الفقراء والمساكين، الذين تأثروا بسبب حظر التجول وتوقف الأعمال، فأفضل الصدقة صدقة في رمضان، وكان رسول الله -ﷺ-

(١) د. فيصل غزاوي ١٧/٨/١٤٤١هـ.

(٢) معجم الطبراني الكبير ٨/٣١٢، وإسناده حسن.

(٣) د. ماهر المعقلي ٢٤/٨/١٤٤١هـ.

أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، ومن فطر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: والمراد بتفطيره أن يشبعه^(١)، وعن الصلت بن بسطام قال: وكان حماد بن أبي سليمان يفطر كل يوم في رمضان خمسين إنساناً، فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوباً ثوباً، فارحموا الضعفاء والفقراء والعاجزين، فمن لا يرحم لا يرحم، وبثوا الصلوات والصدقات^(٢).

الإحساس بالمسؤولية:

من أهم الأمور التي يراعيها المسلم في مثل هذه الجوائح، أن يتنبه لنفسه وأهل بيته، وأن يشعر بالمسؤولية في التحرز والوقاية والأخذ بالأسباب، وخاصة ونحن (نرى بؤادر انحسار تلکم الجائحة باديا على الأبواب، إن مضى الناس على فعل ما يجب، وما علينا - جميعاً - إلا أن نكون يدًا واحدة، في تشييع تلکم الجائحة خارج واقعنا إلى غير رجعة - بإذن الله -، ولن يكون ذلك إلا بشعورنا جميعاً بالمسؤولية، فلن يعود عمل متكامل بعد الله إلا بتعاوننا ووعينا، ولا تعليم منضبط إلا باللقاح، ولا عودة لتجارة ناجعة، ولا معيشة مستقرة دون هذا الشعور الواعي، فالله الله في أنفسكم عباد الله وفي مجتمعاتكم، فإن كل واحد منا يعد لبنة من لبنات بنيان مجتمع مرصوص، فحذار أن تهتز أركانه بإهمالكم،

(١) الاختيارات الفقهية ١/ ٤٦٠.

(٢) صلاح البدير ١/ ٩/ ١٤٤١هـ.

وإياكم والاغترار ببوادر انحسار الجائحة وقرب الوصول، من خلال إهمال الاحترازمات المصاحبة، واتقاء أسباب انتشارها حتى تطؤوا خط النهاية بأقدامكم؛ لئلا نرجع إلى الوراء خطوات كثيرة بتفريطنا قبل التمام، واغترارنا برؤية النهايات قبل بلوغه^(١).

وقد وجه معالي أ. د. عبد الرحمن السديس وفقه الله المصلين في المسجد الحرام قائلا: (إخوة الإسلام، قاصدي بيت الله الحرام: وإذا كان العالم لا يزال يعيش ظلال هذه الجائحة القاتمة، ويحل رمضان علينا في ظروف استثنائية صحية، فإنه لا يزال التأكيد مستمرًا على الحذر والجدية، واستشعار المسؤولية الدينية، والوطنية، والأمنية، والصحية، والمجتمعية، وعدم التراخي والتساهل والتهاون في تطبيق الإجراءات الاحترازية، والإرشادات الصحية، خاصة التباعد الجسدي، وعدم التجمعات، والحرص على ارتداء الكمامات، والتزام التعقيمات، والإسراع في أخذ اللقاحات، والحذر من التشكيك والتشغيب على الجهات المعنية، ونشر الشائعات المغرضة، والافتراءات الكاذبة)^(٢) ويصب هذا التوجيه في المعاني الكبرى التي يتأكد فيها الإحساس بالمسؤولية.

والسؤال: (لماذا هذه الأعمال الجليلة؟ ولماذا هذا الحزم والعزم؟ لأنه شعور عظيم بالمسؤولية؛ ولأن حياة الإنسان هي المقدمة، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فإذا كانت الدولة -رعاها الله-

(١) د. سعود الشريم ١٢/١/١٤٤٣هـ.

(٢) د. عبد الرحمن السديس ٤/٩/١٤٤٢هـ.

تقوم بكل هذه الإجراءات والاحترازاات والاحتياطات، فلماذا يأتي من يتهاون ويفتح بيته مشرعاً ليجمع الناس في مناسبة وفي غير مناسبة؟ وكيف يتساهل بمن يشعر بأعراض المرض، ثم يخالط الناس من غير مبالاة ولا إحساس؟ فالأمر جد وليس بهزل، وكلنا مسؤول؛ فيجب العمل والتعامل بوعي ونصح، والأخذ على يد الجاهل والسفيه في تعاون من غير تهاون، وهل يهون على المرء أن يرى المسجد الحرام من غير معتمرين، والكعبة المشرفة من غير طائفين، والصفاء والمروة من غير ساعين، والروضة الشريفة من غير مصليين، والقبر الشريف من غير زائرين ولا مسلمين؟! أم يهون عليه أن تعلق الجمع والجماعات، وأن تغلق المدارس والجامعات، وتطفأ البهجة والأفراح بإقفال القاعات، وتتعطل تتعطل مصالح الناس؟! ومن ثم تكون الخسائر الفادحة في الأموال وفي المكاسب، بل لقد رأيتم كيف تغلق الدول حدودها، فلا عائدون ولا مغادرون^(١).

وقد تعددت المسؤوليات في أوقات هذه الجائحة:

فلقد كان لرجال الأمن والصحة - جزاهم الله خيراً - تميزاً واضحاً في هذا الميدان، وفق تلك التوجيهات المسددة من ولاية الأمر - وفقهم الله -؛ ولذا فقد صحبهم ثناء ودعاء أئمة وخطباء الحرمين الشريفين، فإن (من أعظم الأعمال، وأزكاها وأحبها إلى الكبير المتعال، ما تقوم به الوزارات والهيئات ومنسوبوها، والمتطوعون معها، من جهود عظيمة؛ لحماية النفوس ودفع

(١) د. صالح بن حميد ١٤/٧/١٤٤٢هـ.

الجائحة، وحفظ الأمن الغذائي والاجتماعي، وخاصة ما يقوم به منسوبو القطاع الصحي، الذين شرفهم الله بهذه المهمة النبيلة، فعملهم من أعظم الأعمال، وعلمهم من أنبل العلوم وأنفعها، بعد علم الكتاب والسنة؛ لما فيه من حفظ الأبدان، وفي حفظ الأبدان حفظ للعقول والأديان، قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: صنفان لا غنى للناس عنهما: العلماء لأديانهم، والأطباء لأبدانهم، ولا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، وذكر الفضل الرازي في فضل الأطباء أنهم قد جمعوا خصلاً لم تجتمع لغيرهم، منها: اتفاق أهل الملل والأديان على تفضيل صناعتهم، واهتمامهم الدائم بإدخال السرور والراحة على غيرهم، ولو لم يكن من فضل الطبيب إلا أن الإنسان ربما يتشوق إليه، فإنه في العلل الصعبة ربما كره الإنسان لقاء أهله وولده، ويشتاق إلى الطبيب، ويتروح برؤيته، وتطيب نفسه بحضوره ومشاهدته؛ لكان فيه مندوحة عن غيره... فيا قادة الصحة ومنسوبيها، ويا أيها الممارسون الصحيون، كم يرفع الله بكم من سقم، ويزيل بكم من ألم، فهنيئاً لكم بشرى النبي -ﷺ-: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) رواه مسلم^(١)، فعملكم مما تنال به محبة الله، والقرب منه ورضاه، وكفى به شرفاً وفضلاً؛ لما فيه من الإحسان، والله -تعالى- يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]،... وأما رجال أمننا في الميدان، والمرابطون على ثغور بلادنا،

(١) سبق تخريجه.

فيكفيهم شرفاً وأجرًا، بشرى رسول الله -ﷺ-: (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)، رواه الترمذي^(١) بسند صحيح، فطوبى لكل عين سهرت لأجل راحة عباد الرحمن، وطوبى لكل عين باتت تحرس الثغور لحفظ الأمن ورد العدوان، فلکم منا خالص الدعاء، بأن يبارك الله في أعمالکم، وأن يحفظکم من بين أيديکم ومن خلفکم)^(٢).

كما أن عجلة التعلم والتعليم لم تتوقف في بلادنا -والله الحمد-، فلقد استمر التعليم عن بعد، وكان للوقفة المميزة للأباء والأمهات والمعلمين والمعلمات الأثر الطيب في استمرار العملية التعليمية، ووفق ماتم من تجهيزات تقنية ومنصات تعليمية وفرتها دولتنا؛ ولهذا كان في بداية ذلك لفئة شرعية تربوية من معالي أ. د. عبد الرحمن السديس حيث قال في خطبته: (فيا أحببتنا، من الآباء والأمهات، وأعضاءنا من المعلمين والمعلمات، إننا وبقدر فخرنا بكم، وشكرنا لجهودكم، نتطلع حرصًا على مسيرة الأجيال الصاعدة، أن تبذلوا مزيدًا من الجهود التعليمية والتنسيقية والتربوية؛ حفاظًا على الجيل، وعلى صحة وسلامة طلابنا وطالباتنا، وشكر الله للجميع تجاوبهم وتعاونهم في خدمة دينهم ووطنهم، في ظل توجيهات ولاية الأمر -حفظهم الله-، والشكر موصول لرجالات وأبطال التعليم، وكفاءات المعرفة، الذين يدأبون في إيصال رسالة التعليم في ظل الأوضاع الراهنة، والله المسؤول أن يرزق الجميع العلم النافع والعمل الصالح،

(١) سنن الترمذي ح ١٦٣٩ بإسناد صحيح

(٢) د. ماهر المعيقلي ١٤٤١/٨/٢٤ هـ.

وأن يرزقنا التمسك بالكتاب والسنة، بمنهج سلف الأمة، وأن يرفع الغمة عن هذه الأمة، فهو ذو الفضل والكرم والمنة^(١).

الوقاية:

ونحن نتحدث عن مثل الوباء، وتلك الجائحة وهذا الداء، نعلم أنه من منهج ديننا القويم، عمل الأسباب التي تمنع حدوث الشيء قبل وقوعه، وهو ما يسميه أهل الاختصاص بالتقيد بالإجراءات الوقائية، والتي عرّج لها أئمة وخطباء الحرمين الشريفين في خطبهم، وذكروا جملة منها:

١. عدم الدخول إلى الأرض التي وقع بها الوباء: (عن ابن عباس - رضي الله عنه) - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه - رضي الله عنه -، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس - رضي الله عنه -: فقال عمر - رضي الله عنه -: "ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلخوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه

(١) د. عبد الرحمن السديس ١٦ / ١ / ١٤٤٢ هـ.

رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر - رضي الله عنه - في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، قال أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه -: أفرارًا من قدر الله؟ فقال عمر - رضي الله عنه -: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديًا له عدوتان؟ إحداهما خصبة والأخرى جدبة؟ أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله؟ وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - وكان متغيّبًا في بعض حاجته، فقال: إن عندي في هذا علمًا، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه، قال: فحمد الله عمر - رضي الله عنه - ثم انصرف) رواه البخاري ومسلم^(١)، وهذا الحديث يدل على وجوب الحرص خوفًا من تفشي الوباء^(٢).

٢. الوقاية الصحية: وقد أجاد فضيلة الشيخ صلاح البدير في خطبته، والتي خصصها عن الوقاية من الأمراض، بذكر جملة من الوسائل النافعة في الوقاية من الداء، واستشهد على كثير منها بما في جاء في الهدى النبوي، وصاغها في هيئة توجيهات، وإلى القارئ الكريم نخبة من تلك التوجيهات الموفقة، في التأكيد على اهتمام الشرع بحفظ النفس مما يضرها من الأمراض والأوبئة:

(١) صحيح البخاري - كتاب الحيل - باب: ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون - ح ٥٧٣٠، صحيح مسلم - كتاب السلام - باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها - ح ٢٢١٩.
(٢) د. عبد الله الجهنّي ١٤٤١/٧/١١ هـ.

(وخمروا الوجه عند العطاس والسعال، وغطوه بالمناديل ونحوها؛ لئلا يؤذي أحدكم جليسه بالنفثاة التي تخرج من فمه أو أنفه، أو بالميكروبات التي تنتشر في محيط العطسة أو السعلة؛ لأن العدوى قد تنتقل بأمر الله -تعالى- بواسطة استنشاق الرذاذ الملوث في الهواء، والفضلة المنتشرة للشخص المصاب، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن رسول الله -ﷺ- قال: (إذا عطس أحدكم، فليضع كفيه على وجهه، وليخفض صوته) أخرجه الحاكم^(١)، واغسلوا الأيدي قبل الطعام وبعده، وبعد قضاء الحاجة، وبعد ملامسة من تخشى العدوى بملامسته، وكلما أصاب اليدين أذى من عرق أو وسخ أو قدر، فعن عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: (كان رسول الله -ﷺ- إذا أراد أن يأكل أو يشرب -أي: وهو جنب- غسل يديه ثم يأكل أو يشرب) أخرجه النسائي^(٢)،... والاحتجاب عمن داؤه يعدي -عادة- لا حرج فيه، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: (وقرّ من المجذوم كما تفر من الأسد) أخرجه البخاري^(٣)، وعن الشريد بن سويد الثقفي -رضي الله عنه- قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي -ﷺ-: (إنا قد بايعناك، فارجع) أخرجه مسلم^(٤)، فلم يبايعه -ﷺ- مصافحة ولا مواجهة؛ لأن مخالطة المجذوم من

(١) مستدرک الحاكم ح ٧٦٨٤ بإسناد صحيح.

(٢) سبق تخريجه: سنن النسائي ح ٢٥٧.

(٣) سبق تخريجه: صحيح البخاري ح ٥٧٥٧.

(٤) صحيح مسلم - كتاب السلام - باب اجتناب المجذوم ونحوه - ح ٢٢٣١.

أسباب العدوى عادة، وذهب المحققون من أهل العلم أن الجذمي إذا كثروا فإنهم يمنعون من المساجد والمجامع، حتى لا تسري العدوى وتنتشر، قال بعض أهل العلم في الجذمي: فإذا كثروا رأيت أن يتخذوا لأنفسهم موضعاً، كما صنع بمرضى مكة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: (لا يوردن ممرض على مصح)^(١)، والممرض هو الذي له إبل مريض، والمصح من له إبل صحاح، فنهى صاحب الإبل المريضة أن يوردها على الإبل الصحيحة؛ اتقاء للعدوى واحترازاً من الأدوية والوباء... والمعانقة والتقبيل جائزة، ولكن حذر منها الأطباء في زمن كورونا؛ احترازاً من تفشي الوباء، والالتزام بذلك من الحكمة والعقل والفقه، وقد أخذ الفقهاء بقول الأطباء الثقة في كثير من الأحكام؛ كقول الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - في الماء المشمس: لا أكره المشمس، إلا أن يكره من جهة الطب^(٢)... ومن الحماية والوقاية التي أرشد إليها الإسلام صيانة للأبدان، تحريم أكل ما له ناب من السباع: كالأسد والذئب والكلب والهرة وما أشبهها، وكل ذي مخلب من الطير: كالصقور والنسور والبزاة والشواهين وأشباهها، وأكل ما يتغذى على الجيف والقاذورات والنجاسات: كالخنزير، وأكل المستقذرات: كالبوبوم والهدهد والخطاف والخفاش والقرود والحشرات والزناير، وغير ذلك من الحيوانات التي ليست من أطعمة المسلمين، عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال:

(١) صحيح البخاري - كتاب الطب - باب لا هامة - ح ٥٧٧١.

(٢) المجموع ١ / ٨٧.

(نهى رسول الله -ﷺ- عن أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير) أخرجه مسلم^(١)، وابن حبان واللفظ له^(٢)، وتحتوي تلك اللحوم على الجراثيم والديدان والطفيليات الممرضة التي تسبب خطرًا على العقول والفهوم والأبدان، فما أعظم الإسلام وما أجل فضائله ومحاسنه، وأحكامه وتشريعاته، التي أسست الطب الوقائي، ومكافحة العدوى والاحتراز منها... ويندب ألا يشرب من فضلة مريض مرضه يعدي عادة؛ لأن الوقاية مأمور بها شرعًا، و(نهى النبي -ﷺ- عن الشرب من فم القربة أو السقاء) أخرجه البخاري^(٣)، وعند الحاكم^(٤): (لأن ذلك يئتنه)، وعند الترمذي^(٥): (نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه)، قال ابن حجر^(٦): قد يخرج مع النفس بصاق أو مخاط أو بخار رديء، فيكسبه رائحة كريهة، فيتطهر بها هو أو غيره من شربه. انتهى، وأما حديث: (ريق المؤمن للمؤمن شفاء)، أو: (سؤر المؤمن شفاء)، فهو حديث مكذوب موضوع لا أصل له^(٧).

-
- (١) صحيح مسلم - كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان - باب: تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير - ح ١٩٣٤.
- (٢) صحيح ابن حبان ح ٥٢٨٠.
- (٣) صحيح البخاري - كتاب الأشربة - باب: الشرب من فم السقاء - ح ٥٦٢٧.
- (٤) مستدرک الحاكم ح ٧٢١١ بإسناد صحيح.
- (٥) سنن الترمذي ح ١٨٨٨ بإسناد صحيح.
- (٦) فتح الباري ٢/ ٢٥٣.
- (٧) صلاح البدير ١١/ ٧/ ١٤٤١هـ.

ومن التدابير الوقائية التي وجهت بها دولتنا رعاها الله ما يسمى بالحجر الصحي، وهو عزل الأشخاص المخالطين لحالات مؤكدة، أو لحالات يحتمل إصابتها بالمرض، لفترة زمنية تحدد وفقاً لفترة حضانة المرض -الفترة ما بين حدوث العدوى وظهور الأعراض-، وقد قدرت بـ ١٤ يوماً في حالة كورونا (كوفيد-١٩)، بل وذللت جميع السبل لهم، وخاصة لأولئك الذين قدموا من دول أخرى، فقد اعتنت بهم عبر السفارات والقنصليات قبل قدموهم، ثم يسرت لهم وسيلة الوصول إلى أرض الوطن، بتسيير كثير من الرحلات الجوية لإعادتهم، وهيأت الفنادق اللازمة لاستقبالهم في فترة الحجر الصحي، التي تعتبر فترة مهمة في الحفاظ على صحة القادم وصحة أهل بيته فيما بعد؛ ولأنه قد يحدث فيها من البعض مع اعتزال الناس ضيقاً أو تأففاً من الحال، فقد خاطبهم فضيلة الشيخ صلاح البدير مسلماً لهم بقوله: (أخي يا من أصيب بهذا البلاء، ووبى بهذا البلاء، واستحجر وتنحى واعتزل، لا تضق عليك الوسيلة الفسيحة. فما ضاقت الدنيا عليك برحبها L ولا باب عفواً الله عنك بمغلق

وأبشر بالعافية، وافزع إلى الصلاة، وأحسن الظن بالله، واستأنس بالذكر وتلاوة القرآن، ولا تيأسن، ولا تقنطن من روح الله، وتوكل على الحي الذي لا يموت، ولا تقتلنك الهموم، فالهموم أخطر السموم، واستعذ بالله من الهم والغم، وما هي إلا نازلة ثم زائلة، وجائلة ثم حائلة، والرضا بالقضاء فيء الأصيل، ودوحة العليل، والفرع المذعور الساخط لم يصب هلة ولا بلة، ولم يؤجر على علة، وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً

ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط^(١).

ومن الإجراءات الاحترازية التي وجهت بها الدولة للتخفيف من آثار انتشار هذا الداء، منع التجول خارج المنازل إلا في ساعات محددة، وفي هذا الإجراء كثير من النفع على الفرد والمجتمع في الحاضر والمستقبل، وقد أكدت عبارات أئمة وخطباء الحرمين الشريفين على الالتزام بذلك، ف (القرار في البيوت زمن الآفات والمخاطر، فيه حفظ وسلامة، وقد اهتدت إلى ذلك نملة فقالت: ﴿نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادَّخُلُوا مَسْكَنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨])^(٢).

ولما كانت ملازمة البيت مظنة الفراغ عند الكثير، فقد وجه أئمة وخطباء الحرمين الشريفين بجملة من الأمور النافعة للمسلم في دينه ودنياه في هذا المقام، فقال فضيلة الشيخ د. فيصل غزاوي وفقه الله: (وليحرص وهو ملازم بيته على ما ينفعه، بالاستفادة من البرامج النافعة التي تشغل وقته، وتزيده علمًا، وتنمي ثقافته، وتكسبه الخبرات، وتطرد الفراغ القاتل عنده، وتشغل فكره عن أن يجول فيما لا ينفع)^(٣)، وعرج فضيلة الشيخ د. عبدالمحسن القاسم وفقه الله إلى معاني أخرى فقال: (وحرى بالمسلم في تلك الحال وغيرها، أن يعمر وقته وفراغه بما ينفع، وأن يكثر من توجيه أهله وأبنائه لكل خير، ومن قصر عن فعل

(١) صلاح البدير ١/٩/١٤٤١هـ.

(٢) د. عبدالمحسن القاسم ٨/٢٤/١٤٤١هـ.

(٣) د. فيصل غزاوي ٨/١٧/١٤٤١هـ.

أعمال صالحة لعذر، فأجره عند الله واف، وهو ذو الفضل العظيم، قال ﷺ: (إن بالمدينة أقواما، ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا، إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: حسبهم العذر) رواه البخاري^(١) ^(٢).

٣. ومن أهم الأمور التي تتأكد في الوقاية من هذا الفايروس، الأخذ بالأسباب، وعلى رأسها التداوي وأخذ اللقاحات الوقائية، وهذا داخل في باب (حفظ الله لعباده، حال الجوائح والأوبئة بتهيئة الأدوية واللقاحات، ولقد بذلت الجهود للتحصين من هذا الوباء الذي عم الأرض في عصرنا، وأضر بصحة الإنسان وشؤونه الدينية والدنيوية، وهذه اللقاحات المجازة من الجهات المختصة، نافعة - بإذن الله -، حافظة بحفظ الله)^(٣).

التحصن بالاذكار:

من أعظم أبواب رفع الوباء، وحفظ الله تعالى للإنسان، ذكر الله سبحانه وبحمده، ف (ما استجلبت نعم الله - ﷻ - واستدفعت نقمه، بمثل ذكر الله - تعالى -؛ فالذكر جلاب للنعم دفاع للنقم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ﴾ [الحج: ٣٨]، وفي قراءة^(٤): (إن الله يدفع عن الذين آمنوا)، فدفاعه ودفعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادة الإيمان وقوته بذكر

(١) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب: نزول النبي ﷺ الحجر - ح ٤٤٢٣.

(٢) د. عبد المحسن القاسم ١٤٤١/٨/٢٤ هـ.

(٣) د. عبد الباري الثبتي ١٤٤٢/٧/٨ هـ.

(٤) هذه القراءة لابن كثير المكي.

الله -تعالى-، فمن كان أكمل إيماناً وأكثر ذكراً، كان دفاع الله -تعالى- عنه ودفعه أعظم، ومن نقص نقص، ذكراً بذكر، ونسياناً بنسيان^(١)، (ومن أكثر الرجوع إلى ربه بكثرة ذكره، أورثه رجوعاً إليه في قلبه، فيبقى إلى الله مفزعه، وإلى ربه ملاذه، أكثروا -حفظكم الله- من هذا الذكر: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، كرّوه ثلاث مرات، فمن فعل ذلك لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قاله حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي. رواه أبو داود^(٢) بسند صحيح^(٣)، وبالجملة فينبغي على المسلم المحافظة على ذكر الله تعالى، وقراءة القرآن الكريم، والتحصن بالسور والآيات التي وردت السنة النبوية ببيان فضلها: كالفاتحة وآية الكرسي والإخلاص والقلق والناس، وأن يلزم أذكار الصباح والمساء، وغيرها من الأذكار (فإن الذكر غذاء ودواء، وحصن من الأدواء)^(٤).

البعد عن الشائعات:

في مثل هذه الأوقات التي تتغير فيها الأحوال، وتتسارع فيها المتغيرات، تكثر الشائعات، وخاصة مع وجود وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة وتعددّها، التي تنقل الخبر أو الشائعة حتى تبلغ الآفاق، وهذه الشائعات مع

(١) د. عبد الرحمن السديس ٣/ ٨/ ١٤٤١هـ.

(٢) سنن أبي داود ح ٥٠٨٨، بإسناد صحيح.

(٣) د. صالح بن حميد ١٨/ ٧/ ١٤٤١هـ.

(٤) د. علي الحذيفي ٣/ ٨/ ١٤٤١هـ.

ضررها تؤثر في العزائم، وتسبب كثيراً من الأضرار في المجتمع؛ ولذا كانت عبارات أئمة الحرمين الشريفين في التحذير منها واضحة وجليّة، فمن منبر المسجد الحرام كان التوجيه: (يا عباد الله، وكما أن المسلم يمتنع عن إذاعة الشائعات، وإعلان الأراجيف بين أفراد المجتمع، فإنه يسعى في نشر الخير في الناس، وبث روح التفاؤل الذي يورث طمأنينة النفس، وراحة القلب والارتياح والنشاط، ويحرص على رفع راية التبشير بالخير، وانتظار الفرج، والتهذئة من روع الآخرين، والتخفيف من همومهم، وتسلية نفوسهم، في مثل هذا الأحوال التي يشوبها أجواء من القلق والاضطراب، فالدعم النفسي ورفع المعنويات وشحن الهمم، مهم جداً في المساعدة على العلاج من الأمراض البدنية والإصابات الجسدية، وليكن شعارنا: (بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا)^(١)^(٢).

وكان أيضاً التأكيد من الحذر من الشائعات، وخاصة فيما يتعلق بأخذ اللقاحات المعتمدة، والتي أمنتها دولتنا -رعاها الله- للمواطنين والمقيمين بدون مقابل، ف (إن الانقياد وراء الشائعات يضر ولا ينفع، ويؤخر ولا يقدم، ويفرط منظومة الوعي فيتطير خرزها، ولات ساعة نظم محكم؛ فإنه ما دخلت الشائعات في مجتمع إلا شائته، ولا نزعته منه إلا زانته، ولو لم يكن من أضرارها إلا التشكيك في الجهود والدراسات المعتمدة، لكفى، وإن

(١) صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير - ح ١٧٣٢.

(٢) د. فيصل غزاوي ١٧ / ٨ / ١٤٤١ هـ.

تعجبوا -عباد الله- فعجب أولئك المشككون في اللقاحات، كيف يقدحون في إجماع عالمي على نفعها؟! ويزداد العجب حين لا نرى لأولئك المشككين تحوطات في لقاحات الأدوية الأخرى، كما نراه لهم في التحوط للقاحات هذه الجائحة، فإننا نجدهم يأخذون من الأدوية ذات الآثار السلبية دون سؤال أو احتياط، وربما أخذوا ولا يبالون لقاحات ليست في درجة لقاحات الجائحة من حيث المصدقية والاعتماد، فهم يعمون عن كثير من إهمالهم وممارساتهم الخاطئة في الغذاء والصحة وغيرها، ويتنطعون في لقاح الجائحة، لا يبصرون الجبل المائل أمام أعينهم، ويحدقون بأبصارهم للقتاة في العين، فحال مثل هؤلاء كحال من يتساهل في الدماء، ويسأل عن قتل البعوض في الحرم، عافانا الله وإياكم من العجز والكسل والأهواء والأدواء^(١).

رجاء الشهادة لمن مات بهذا المرض:

الشهادة مقام عظيم عند الله، (ونرجو الشهادة لمن ماتوا من المسلمين بسبب هذا الوباء، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: (الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله) متفق عليه^(٢)^(٣).

(١) د. سعود الشريم ١٢/١/١٤٤٣هـ.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب: الشهادة سبع سوى القتل - ح ٢٨٢٩، صحيح

مسلم - كتاب الإمارة - باب بيان الشهداء - ح ١٩١٤.

(٣) صلاح البدير ١/٩/١٤٤١هـ.

لقد رسم أئمة وخطباء الحرمين الشريفين - وفقهم الله - بهذه الخطب،
منهجًا واضحًا للفرد والأسرة، بالتقيد (التام بكافة الإجراءات الاحترازية التي
تتخذها الجهات المختصة، والتعاون معها على ذلك؛ تعاونًا على البر والتقوى،
وطاعة لولي الأمر، وتحقيقًا للمقاصد الشرعية، وأخذًا بالأسباب الوقائية،
وحفاظًا على الأنفس، وحرصًا على ما فيه السلامة من كل داء، والنجاة من كل
بلاء)^(١).



(١) د. أسامة خياط ٢٥ / ٧ / ١٤٤١ هـ.

الختام

النتائج:

بعد هذه الجولة الماتعة بين روضات خطب الحرمين الشريفين التي تحدثت عن جائحة وكورونا، اتضح أثر ذلك المنبر العظيم في تأصيل المنهج الشرعي الواجب على المسلم في مثل هذه الأحوال، ويمكن للباحث أن يبين أهم ما خرج به من نتائج وتوصيات من هذا البحث وهي كالتالي:

١. منبر الحرمين الشريفين منبر عالمي، يراه ويسمعه من في العالم من المسلمين وغيرهم، ولذا كانت خطب الحرمين الشريفين على مستوى الحدث، وربطت الأمة في مثل هذه الجائحة العالمية بأهم المهمات وأوجب الواجبات، وهو توحيد الله ﷻ وأنه ﷻ المنفرد بالخلق والملك والتدبير، وما يتبعه من التوكل على الله والالتجاء له وحسن الظن به والتحصن بدعائه وذكره.

٢. أكدت خطب الحرمين الشريفين على الجهود المميزة لقيادة المملكة العربية السعودية في التعامل الأمثل مع هذه الجائحة، وتوجيهاتهم السديدة للجهات المعنية التي خففت من انتشار الأمراض المترتبة على هذه الجائحة بعد توفيق الله.

٣. أكد أئمة وخطباء الحرمين الشريفين على ما يجب على المسلم في مثل هذه الأحوال من السمع والطاعة لولي الأمر، وما يوجهه من قرارات أو إجراءات تصب في مصلحة الجميع.

٤. احتوى البحث على جملة من التوجيهات من منبر الحرمين الشريفين، التي يمكن أن تكون منهجاً للمسلم في أوقات الجوائح والأوبئة، وليست خاصة بهذه الجائحة فحسب.

التوصيات والمقترحات:

١. يؤكد على أهمية الاستفادة من خطب الحرمين، فهي موعظة نافعة للمسلم في التفقه في دينه، ومعرفة ما فيه صلاح له ولمجتمعه.
 ٢. يوصي الباحث بالاستفادة من خطب الحرمين وفهرستها؛ للاستفادة منها عبر منصة إلكترونية تخصص لذلك.
 ٣. كما يوصي الباحث أن يستفيد خطباء الجوامع من محاور هذا البحث في خطبهم، فتلك المحاور كما لوحظ كانت مؤصلة بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وخاصة فيما يتعلق بالتعامل مع الجوائح والأوبئة.
 ٤. يقترح الباحث مع انحسار هذا الوباء -ولله الحمد- عقد لقاءات علمية للمختصين للاستفادة من الدروس والفوائد المستقاة من تلك الجائحة، التي أثرت على العالم، وإبراز المنهج الشرعي الذي ساهم في تخفيفها والوقاية منها.
- ختاماً: نسأل الله أن يجزل المثوبة والأجر لولادة أمرنا -أيدهم الله-، وأن يجزى أئمة وخطباء الحرمين الشريفين خير الجزاء، وأن ينفع بهم، وأن يوفقهم لكل خير، وأن يوفق رجال أمننا وأن يحفظهم، وأن يبارك في جهود وزارة الصحة ومنسوبيها والمتعاونين معهم، وأن يرفع الله هذه الغمة عن العالم عامة وعن بلادنا خاصة، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصالح والمراجع

١. بيان فضل علم السلف على علم الخلف للحافظ ابن رجب رحمته الله. ط ٢.
٢. بذل الماعون في فضل الطاعون، للحافظ ابن حجر رحمته الله. ط دار العاصمة.
٣. تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للإمام الشوكاني رحمته الله، ط دار القلم.
٤. تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير رحمته الله، ط دار الكتب العلمية.
٥. تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد القرطبي رحمته الله، ط دار الرسالة.
٦. الجائحة الكورونية على ضوء الأدلة والمقاصد الشرعية لمعالي الشيخ د. عبد الرحمن السديس. ط ٢.
٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلوات الله عليه وسننه وأيامه (صحيح البخاري) للإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمته الله، ط دار طوق النجاة.
٨. الروض الداني (المعجم الصغير) للإمام سليمان بن أحمد الطبراني رحمته الله، ط المكتب الإسلامي.
٩. المعجم الكبير للإمام سليمان بن أحمد الطبراني رحمته الله، ط مكتبة ابن تيمية.

١٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم) للإمام مسلم بن الحجاج القشيري رحمته الله، ط دار إحياء التراث العربي.

١١. المستدرك على الصحيحين (مستدرك الحاكم) للإمام محمد بن عبد الله النيسابوري رحمته الله، ط دار الكتب العلمية.

١٢. الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية لدى تلاميذه لسامي بن محمد بن جاد الله، ط مجمع الفقه الإسلامي.

١٣. زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن القيم رحمته الله، ط دار الرسالة.

١٤. سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني رحمته الله، ط المكتبة العصرية.

١٥. سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى الترمذي، ط دار الغرب الإسلامي.

١٦. السنن الكبرى للإمام أحمد بن شعيب النسائي رحمته الله، ط مؤسسة الرسالة.

١٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله، ط مكتبة المعارف.

١٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان للإمام محمد بن حبان التميمي، ط دار الرسالة.

١٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمته الله، ط دار المعرفة.

٢٠. الفوائد، للإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله ط دار الكتب.

٢١. المجموع شرح المذهب للإمام النووي رحمته الله، ط دار الفكر.

٢٢. مجموع الفتاوى للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، رحمته الله
المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢٣. برنامج مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي التابع لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢٤. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، ط دار الفاروق.

٢٥. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرى للإمام ابن تيمية رحمته الله،
ط دار الكتب العلمية.

٢٦. موسوعة جامع الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمته الله للسنّة النبوية
المطهرة على الإنترنت:

<https://sunnah.alifta.gov.sa/Default.aspx>

٢٧. الموسوعة الحديثية من موقع الدرر السنية الإلكتروني:

<https://dorar.net/hadith>

٢٨. موقع معالي الشيخ محمد بن عثيمين رحمته الله الإلكتروني:

<http://binothaimeen.net>

٢٩. موقع معالي الشيخ صالح الفوزان حفظه الله الإلكتروني:

[http: //alfawzan. af. org. sa /ar](http://alfawzan.af.org.sa/ar)

٣٠. موقع الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

الإلكتروني:

[https: //www. gph. gov. sa /ar-sa /Pages /default. aspx](https://www.gph.gov.sa/ar-sa/Pages/default.aspx)

٣١. موقع ملتقى الخطباء الإلكتروني:

[https: //khutabaa. com](https://khutabaa.com)

٣٢. موقع وكالة الأنباء السعودية (واس) الإلكتروني:

[https: //www. spa. gov. sa /](https://www.spa.gov.sa/)

٣٣. موقع وزارة الصحة السعودية الإلكتروني:

[https: //www. moh. gov. sa](https://www.moh.gov.sa)



Bibliography

1- Bayaan Fadl ‘Ilm as-Salaf ‘alaa ‘Ilm al-Khalaf: al-Haafith ibn Rajaab, 2nd ed..

2- Bath-lil-Ma‘oon fee Fad-lit-Taa‘oon: al Haafith Ibn Hajar. Daar al-‘Aasimah.

3- Tuhfah ath-Thaakhireen bi-‘Uddat al-Hisn al-Haseen: al-Imaam ash-Shawkaanee. Daar al-Qalam.

4-Tafseer al-Qur’aan al-‘Atheem: al-Haafith ibn Katheer. Daar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

5-Tafseer al-Jaami‘ li-’Ahkaam al-Qur’aan: al-Imaam Muhammad ibn Ahmad al-Qurtubee. Daar ar-Risaalah.

6-al-Jaa’ihah al-Coorooniyyah ‘alaa Daw’ al-’Adillah wal-Maqaasid ash-Shar‘iyyah: ash-Shaykh Abdur-Rahmaan as-Sudays, 2nd.

7- al-Jaami‘ al-Musnad as-Saheeh al-Mukhtasar min ‘Umoori Rasoolillaah sallallaahu ‘alayhi wa sallam wa Sunanih wa Ayyaamih: al-Imaam Muhammad ibn Ismaa’eel al-Bukhaaree. Daar Tawq an-Najaah

8-ar-Rawd ad-Daanee (al-Mu‘jam as-Sagheer): al-Imaam Sulaymaan ibn Ahmad at-Tabaraanee. al-Maktab al-Islaamee.

9- al-Mu‘jam al-Kabeer: al-’Imaam Sulaymaan ibn Ahmad at-Tabaraanee. Maktabah Ibn Taymiyyah.

10- al-Musnad as-Saheeh al-Mukhtasar bi-Naql al-‘Adl ‘an al-‘Adl ilaa Rasoolillaah Sallallaahu ‘Alayhi wa Sallam or Saheeh Muslim: al-Imaam Muslim ibnul-Hajjaaj al-Qushayree. Daar ‘Ihyaa’ at-Turaath al-‘Arabee.

11-al-Mustadrak ‘alaa as-Saheehayn (Mustadrak al-Haakim): al-Imaam Muhammad ibn Abdillaah an-Naysaabooree. Daar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

12-al-Ikhtiyaaraat al-Fiqhiyyah li-Shaykh al-Islaam ibn Taymiyyah Ladaa Talaameethah: Saamee ibn Muhammad ibn Jaadillaah. Mujaama‘ al-Fiqh al-’Islaamee.

13- Zad al-Ma‘aad fi hadyee khair al-‘Ibaad: al-’Imaam Ibn al-Qayyim. Daar ar-Risaalah.

14-Sunan Abee Dawood: al-Imaam Sulaymaan ibn al-’Ash‘ath as-Sijistaanee. al-Maktabah al-‘Asriyyah.

15- Sunan at-Tirmitheeh: al-'Imaam Muhammad ibn 'Eesaa at-Tirmitheeh. Daar al-Gharb al-'Islaamee.

16- as-Sunan al-Kubraa lil-'Imaam Ahmad ibn Shu'ayb an-Nisaa'ee. Mu'assasah ar-Risaalah.

17- Silsilah al-'Ahaadeeth as-Saheehah wa Shay' min Fiqhihaa wa Fawaa'idihaa: ash-Shaykh Muhammad Naasirud-Deen al-Albaanee. Maktabah al-Ma'aarif.

18- Saheeh ibn Hibbaan bi-Tarteeb ibn Balabaan: al-'Imaam Muhammad ibn Hibbaan at-Tameemee. Daar ar-Risaalaah.

19- Fat-h al-Baaree Sharh Saheeh al-Bukhaaree: al-'Imaam Ahmad ibn 'Alee ibn Hajar al-'Asqalaanee. Daar al-Ma'rifah.

20- al-Fawaa'id: al-'Imaam ibn Qayyim al-Jawziyyah. Daar al-Kutub.

21- al-Majmoo' Sharh al-Muhath-thab: al-'Imaam an-Nawawee. Daar al-Fikr.

22- Majmoo' al-Fataawee: al-'Imaam Ahmad ibn Abdil-Haleem ibn Taymiyyah, ed. Abdur-Rahmaan ibn Muhammad ibn Qaasim. King Fahd Glorious Qur'aan Printing Complex.

23- Mus-haf al-Madeenah an-Nabawiyyah lin-Nashr al-Haasoobee Software. King Fahd Glorious Qur'aan Printing Complex.

24- Majmoo' Rasaa'il al-Haafith ibn Rajab al-Hanbalee. Daar al-Faarooq.

25- Minhaaj as-Sunnah an-Nabawiyyah fee Naqd Kalaam ash-Shee'ah al-Qadaree: al-'Imaam ibn Taymiyyah. Daar al-Kutub al-'Ilmiyyah

26- King Abdul-Azeez Prophetic Sunnah Collection Encyclopedia Online.

<https://sunnah.alifta.gov.sa/Default.aspx>

27- Aldorar Alsaniyyah Hadeeth Encyclopedia Online.

<https://dorar.net/hadith>

28- ash-Shaykh Muhammad ibn 'Uthaymeen's Website.

<http://binothaimeen.net>

29- ash-Shaykh Saalih al-Fawzaan's Website

<http://alfawzan.af.org.sa/ar>

30- General Presidency for the Affairs of al-Masjid al-Haraam wal-Masjid an-Nabaawee (GPH) Website

<https://www.gph.gov.sa/ar-sa/Pages/default.aspx>

31- Multaqaa al-Khutabaa Website

<https://khutabaa.com>

32- Saudi Press Agency (SPA) Website

<https://www.spa.gov.sa/>

33- Saudi Ministry of Health Website

<https://www.moh.gov.sa>



بيان بالخطب التي تم الاستفادة منها في البحث:

م	تاريخ الخطبة	اسم الخطيب	مكان الخطبة
١	١٤٤١/٦/٢٠ هـ	فضيلة الشيخ د. عبد الباري بن عواض الشيتي	المسجد النبي
٢	١٤٤١/٧/١١ هـ	فضيلة الشيخ د. عبد الله بن عواد الجهني	المسجد الحرام
٣	١٤٤١/٧/١١ هـ	فضيلة الشيخ صلاح بن محمد البدير	المسجد النبي
٤	١٤٤١/٧/١٨ هـ	معالي الشيخ د صالح بن عبد الله بن حميد	المسجد الحرام
٥	١٤٤١/٧/١٨ هـ	فضيلة الشيخ د. عبد الله بن عبد الرحمن البعيجان	المسجد النبي
٦	١٤٤١/٧/٢٥ هـ	فضيلة الشيخ د. أسامة بن عبد الله خياط	المسجد الحرام

م	تاريخ الخطبة	اسم الخطيب	مكان الخطبة
٧	١٤٤١/٧/٢٥ هـ	فضيلة الشيخ أحمد بن طالب حميد	المسجد النبوي
٨	١٤٤١/٨/٣ هـ	معالي الشيخ د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس	المسجد الحرام
٩	١٤٤١/٨/٣ هـ	فضيلة الشيخ د. علي بن عبد الرحمن الحذيفي	المسجد النبوي
١٠	١٤٤١/٨/١٠ هـ	فضيلة الشيخ د. بندر بن عبد العزيز بليلة	المسجد الحرام
١١	١٤٤١/٨/١٠ هـ	فضيلة الشيخ د. عبد الباري بن عواض الثبتي	المسجد النبوي
١٢	١٤٤١/٨/١٧ هـ	فضيلة الشيخ د. فيصل بن جميل غزاوي	المسجد الحرام

م	تاريخ الخطبة	اسم الخطيب	مكان الخطبة
١٣	١٧ / ٨ / ١٤٤١ هـ	فضيلة الشيخ د. علي بن عبد الرحمن الحذيفي	المسجد النبوي
١٤	٢٤ / ٨ / ١٤٤١ هـ	فضيلة د. الشيخ ماهر بن حمد المعقلي	المسجد الحرام
١٥	٢٤ / ٨ / ١٤٤١ هـ	فضيلة الشيخ د. عبد المحسن بن محمد القاسم	المسجد النبوي
١٦	١ / ٩ / ١٤٤١ هـ	فضيلة الشيخ د. سعود بن إبراهيم الشريم	المسجد الحرام
١٧	١ / ٩ / ١٤٤١ هـ	فضيلة الشيخ صلاح بن محمد البدير	المسجد النبوي
١٨	٢٢ / ٩ / ١٤٤١ هـ	فضيلة الشيخ د. بندر بن عبد العزيز بليلة	المسجد الحرام

م	تاريخ الخطبة	اسم الخطيب	مكان الخطبة
١٩	١٤٤١/٩/٢٢ هـ	فضيلة الشيخ د. علي بن عبد الرحمن الحذيفي	المسجد النبوي
٢٠	١٤٤١/١٠/١ هـ	معالي الشيخ د صالح بن عبد الله بن حميد	المسجد الحرام (خطبة عيد الفطر)
٢١	١٤٤١/١٠/٦ هـ	معالي الشيخ د صالح بن عبد الله بن حميد	المسجد الحرام
٢٢	١٤٤١/١٠/١٣ هـ	فضيلة الشيخ د. فيصل بن جميل غزاوي	المسجد الحرام
٢٣	١٤٤١/١١/٥ هـ	فضيلة الشيخ حسين بن عبد العزيز آل الشيخ	المسجد النبوي

م	تاريخ الخطبة	اسم الخطيب	مكان الخطبة
٢٤	١٤٤١/١١/١٩ هـ	معالي الشيخ د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس	المسجد الحرام
٢٥	١٤٤٢/١/١٦ هـ	معالي الشيخ د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس	المسجد الحرام
٢٦	١٤٤٢/٢/١ هـ	فضيلة الشيخ صلاح بن محمد البدير	المسجد النبوي
٢٧	١٤٤٢/٢/٨ هـ	فضيلة الشيخ د. عبد الله بن عبد الرحمن البعيجان	المسجد النبوي
٢٨	١٤٤٢/٢/٢٩ هـ	فضيلة الشيخ حسين بن عبد العزيز آل الشيخ	المسجد النبوي
٢٩	١٤٤٢/٦/٢ هـ	فضيلة الشيخ عبد الله بن عواد الجهني	المسجد الحرام

م	تاريخ الخطبة	اسم الخطيب	مكان الخطبة
٣٠	١٤٤٢/٦/١٦ هـ	فضيلة الشيخ د. علي بن عبد الرحمن الحذيفي	المسجد النبوي
٣١	١٤٤٢/٦/٢٣ هـ	فضيلة د. الشيخ ماهر بن حمد المعيقلي	المسجد الحرام
٣٢	١٤٤٢/٧/٧ هـ	معالي الشيخ د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس	المسجد الحرام
٣٣	١٤٤٢/٧/٧ هـ	فضيلة الشيخ د. عبد الباري بن عواض الشبتي	المسجد النبوي
٣٤	١٤٤٢/٧/١٤ هـ	معالي الشيخ د صالح بن عبد الله بن حميد	المسجد الحرام
٣٥	١٤٤٢/٩/٤ هـ	معالي الشيخ د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس	المسجد الحرام

م	تاريخ الخطبة	اسم الخطيب	مكان الخطبة
٣٦	١٤٤٢/١١/٢٩ هـ	فضيلة د. الشيخ ماهر بن حمد المعقلي	المسجد الحرام
٣٧	١٤٤٣/١/١٢ هـ	فضيلة الشيخ د. سعود بن إبراهيم الشريم	المسجد الحرام

